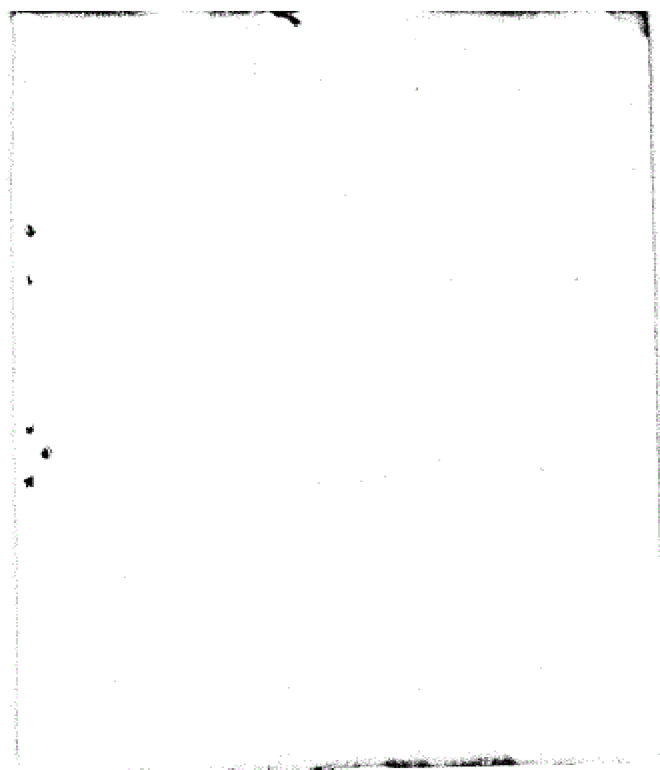
الأسطورة في الأدب العربي

تأليف

الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجي

دار الهلال



بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغـــلاف بريشـــة
الفنانة سـميحة حسـنين

مقدمة

ازداد اهتمام الدارسين فى العالم اجمع فى السنوات الاخيرة بدراسة الاسطورة وعلاقتها بالادب . هذا الاهتمام يختلف كثيرا عن الاهتمام الذى شاهده الغرب فى القرن الماضى والذى قام على اكتاف علماء الانثروبولوجيا فى دراساتهم للأديان البدائية . فقد كان الهدف من معظم هذه الدراسات استعماريا او تبشيريا او كليهما معا .

ومصدر هذا الخلاف انه لم يعد يقوم على العلماء من قادة الاستعمار او المبشرين فقط وانما على اكتاف كثير من ابناء الشعوب التى كانت مستعمرة ايضا ، والهدف منه هو محاولة فهم للذات . والكتاب الافريقيون يعودون الى اساطيرهم يستلهمونها فى كتاباتهم وذلك حتى يوازنوا بين المعطيات الغربية ومعطياتهم وحتى لا يفقد مجتمعهم اصالته وما يربطه بماضيه .

ولقد استهوتنى دراسة الاسطورة سنوات وسنوات وانا احاول ان ابحث عن الجذور الاسطورية للأدب العربى حتى تكاملت لدى مادة هذا البحث .

يقوم هذا البحث بدراسة اسطورة الخلق الفنى فى

الادب العربى ، واعنى باسطورة الخلق الفنى العقيدة الشائعة لدى العرب الاقدمين عن وجود قرين للشعراء يقول الشعر على السنتهم ، اى ان الشاعر وسيط فى عملية الخلق الفنى .

وقد ضعفت هذه العقيدة فى العصر العباسى ولم تجد صدى عند الشعراء . واصبحت موضوعا طريفا دخل ميدان الادب الشعبى . واستخدم فى اعمال فنية على قدر كبير من الجودة فى القديم والحديث .

حدد استخدام هذا الموضوع المنهج الذى اتبعته فقسمت البحث الى مدخل وبابين :

حاولت فى المدخل توثيق مادة هؤلاء الشعراء من بين الاعمال المدونة فى العصر العباسى محاولا التعرف على شكلها الشعبى .

والباب الاول خص الاعمال المكتوبة نثرا وقد قسمته الى فصلين ، فصل خاص بالمقامة الاسودية والمقامة الابليسية لبديع الزمان الهمذانى . والفصل الثانى دراسة لرسالة التوابع والزوابع لابن شهيد .

اما الباب الثانى فقد خصصته لدراسة الاعمال الشعرية ، وقسمته الى فصلين . الفصل الاول دراسة لقصيدة الحكم بن عمرو البهرانى . والفصل الثانى دراسة لمسرحية مجنون ليلى لاحمد شوقى .

حاولت فى كل ذلك ان اكشف الى اى حد تساعد الاسطورة على فهم طبيعة العمل الادبى ووظيفته ودورها فى تشكيله الجمالى .

وباستثناء قصيدة الحكم بن عمرو البهراني فان كثيرا من الدارسين تناولوا هذه الاعمال بالدراسة ولكن احدا لم يدرسها من حيث علاقتها الجمالية بالاسطورة ، مما جعل هذه الاعمال فى حاجة الى اعادة النظر من خلال الاسطورة التى تناولها هؤلاء الكتاب والشعراء .

ولما كانت دراسة الاسطورة فى علاقتها بالعمل الادبى موضوعا جديدا فى الدراسات الادبية العربية ، فانى لا اريد ان اثقل على الدارسين بالالحاح على اهمية الموضوع تاركا هذا العمل بين أيديهم علهم يقتنعون بقيمة دراسة العلاقة بين الادب والاسطورة .

هذا وانى لاشكر كل زملائى واصدقائى الذين قراوا هذا البحث وشجعونى على المضى فى هذا الطريق شكر ممتن لكل ما منحوه لى من حب وعون .

مدخل المصادر

ارتبط الشعر العربي في عصوره الاولى بقوة من قوى ما وراء الطبيعة وتحددت هذه القوة في الجن ، وقد اعتقد الجاهليون والاسلاميون في ان لكل شاعر تابعا من الجن يلقى على لسانه الشعر ، وتحددت اسماء لهؤلاء الجن فكان مسحل السكران شيطان الاعشى ولافظ بن لاحظ شيطان امرىء القيس ، وهادر شيطان النابغة الذبياني .

ولم يتوقف هذا الاعتقاد بعد ظهور الاسلام ، بل استمر شائعا ، وكان لكثير من شعراء صدر الاسلام ، والعصر الاموى جن يلقون الشعر على افواههم . غير انه في العصر العباسي تغيرت هذه الصورة ، ولم يعد للشيطان دور كبير في الهام الشعراء ، اذ حل العقل في تفسير الظواهر الفنية بديلا من الاسطورة ، ورجع العرب في تفسيرهم لقدرة الخلق عند الشاعر للملكة والموهبة ، وجعلوا للصنعة مكانا مهما في عملية البناء الشعرى ، حتى انه دخل ميدان المنطق ليصبح احد علومه .

واصبح واضحا ان الشعراء والنقاد لم يعودوا يعتقدون في دور الجن في الابداع الشعرى ، وانحصر

الموضوع فى دائرة القصص الشعبى . وجد بعض الشعراء فى الموضوع مادة خصبة لاعمال فنية فاستخدمت فى النثر والشعر على حد سواء ، استخدمها نثرا بديع الزمان الهمذانى فى مقامتين من مقاماته ، وهما المقامة الاسودية ، والمقامة الابليسية ، واستخدمها ابن شهيد فى رسالة التوابع والزوابع .

وفى ميدان الشعر استخدمها شاعران احدهما قديم ، وهو الحكم بن عمرو البهرانى والآخر حديث وهو احمد شوقى .

تعد المقامة الابليسية ورسالة التوابع والزوابع من الاعمال الدرامية على قدر كبير من الجودة . تكشف عن مقدرة اصحابها القصصية الكبيرة حتى انها لتقف جنبا الى جنب مع الاعمال الادبية العظيمة التى خلفها التراث الانسانى .

ويجب ان يكون مفهوما ان هذه الاعمال القصصية تختلف عن الاعمال القصصية المعروفة فى العصر الحديث . ولا تقارن بها ، ففن القصة الحديثة مرتبط الى حد كبير بالطبعة والواقع الاجتماعى للقاص وهو مختلف عن الواقع الاجتماعى للقاص القديم . تحددت له حدود وخصائص ابتعدت به الى حد ما عن القصص القديم ، وان اخذ القاص المعاصر يعود الى القاص القديم والشعبى يستلهمها ، وذلك فى محاولة منه ان يطرق ميادين جديدة لفنه حتى يرضى جمهوره . هذا الجمهور الذى لم ينقطع عن تراثه القديم والشعبى ، وما زال حنينه اليهما يوجه ذوقه . وقد قامت محاولات فى معظم بلاد العالم لبعث الادب الشعبى واحيائه والبحث عنه

وتسجيله وتدوينه . ويحاول القاص الحديث باقترابه من التراث الشعبي والقديم ان يقرب المسافة بينه وبين الادب القديم . ولقد ارتبط فى القصة المكتوبة فى الادب القديم بالادب الشفوى فهو ينهج نهجه ويستمد منه كثيرا من الموضوعات ، هذا فضلا عن طريقة الاداء والعرض .

استمد الهمدانى كثيرا من موضوعاته من القصص الشعبى حتى ان احدى مقاماته ، وهى البغدادية (١) تحوى طرفة ما زالت تعيش وتروى مع بعض التغيير فى الاسماء فى بعض البيئات فى مصر ، وان لم يكن معروفا ان كان قد استمدها من الطرف المروية فى عصره ام انه اخترعها مترسما طريقة الطرف الشعبية المعروفة لديه .

ولا شك ان هذين الكاتبين يمثلان حلقة واحدة فى الكتابة فى موضوع واحد . وليس صدفة أنهما عاشا فى عصر واحد كان اسبقهما هو الهمدانى (٣٦٠ ـ ٣٩٨ هـ) الذى تحددت كتابته للمقامة فى عام ٣٨٢ (٢) او عام ٣٩٢ (٣) هـ بينما كتب ابن شهيد (٣٨٢ ـ ٤٢٦ هـ) رسالة التوابع والزوابع فيما بين ٤١٧ ـ ٤١٨ هـ اى بعد كتابة المقامة بحوالى خمس وعشرين سنة .

---

(١) بديع الزمان الهمدانى ، ابوالفضل . مقامات شرح الشيخ محمد عبده المصرى . بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، (د . ت) . ص ٦٣ ـ ٦٧ .

(٢) الثعالبى ، ابو منصور عبد الملك بن محمد . يتيمة الدهر . القاهرة : مطبعة الصاوى ، سنة ١٩٣٤ . جـ ٤ ، ص ١٦٨ .

(٣) ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين بن ابى بكر . وفيات الاعيان . تحقيق محيى الدين عبد الحميد . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨ . جـ ١ ، ص ١١٠ .

واذا كانت هـذه الـكتابات النثرية ارتبطت بشـكل قصصي فان الشعر استخدم هذا الموضوع اسـتخداما مخالفا . استخدمها الحكم بن عمرو البهراني في قصيدة ادان فيها بعض المظالم في عصره ، واستخدمها شوقي لتكون البناء الاساسي لمسرحية من مسرحياته وهي مجنون ليلى . وبين المحاولة الشـعرية الاولى والثـانية وقت طويل .

***

اما المادة التى تأثر بها هؤلاء الكتاب فى الادب الشعبى القصصى الذى كان معـــروفا متواترا ايامهم عن الجن وعلاقتهم بالابداع الشعرى — ومن السهل معرفة مصادر المادة التى تأثروا بها فقد دونتهــــا بعض كتب الادب العربى . روى الجاحظ بعضا منها فى كتابه الحيـــوان والاصبهانى فى كتابه الاغانى . وكلا الكتابين مؤلف قبل ان يكتب هؤلاء المؤلفون كتاباتهم باستثناء الحكم بن عمرو البهرانى فهو اسبق من هذين الكتابين ومصادره ترجع الى الاصول الشفوية التى استقى منها هذان الكتابان مادتهما . عندما كان الحديث عن الجن وعلاقته بالشعراء عقيدة شائعة وان اخذ الشك طريقه اليها فى عصره . وهناك ايضا مادة هامة مجموعة فى كتاب جمهرة اشعار العرب . يضاف الى ذلك القصص الشعبى الشائع فى عصر هؤلاء المؤلفين . والجاحظ هو أول مؤلف عربى وصلت الينا شكوكه عن علاقة الجن بالشعراء مدونة فى كتاب وقد جمع مادة كبيرة عن الموضوع وسجل تعليقه

عليهما بانها زعم (١) وان « ضعفة النساك واغبياء العباد يزعمون ان لهم شيطانا قد وكل بهم » (٢) وقد صدر الحديث عنها فى باب اسماه « باب من ادعى من الاعراب والشعراء انهم يرون الغيلان ويسمعون عزيف الجان » (٣) وفى هذا الباب يذكر كثيرا من الشعر الذى رواه الشعراء عن علاقتهم بالجن بما يجعل هذا الكتاب مصدرا اساسيا ومباشرا فى فهم طبيعة هذا الموضوع . وقد استخدم الهمذانى ابياتا مما روى فى هذا الفصل وبنى عليها مقامته الاسودية (٤) .

وكتاب الاغانى من اهم الكتب العربية لا كمصدر لهذه المادة فقط ولكن كمصدر اساسى للادب العربى . جمع صاحبه تراث الادب العربى كله تاريخه وتاريخ أدبائه بما يمكن ان يعطى صورة كاملة للشعر العربى القديم ، فضلا من صورة كاملة لعالم الادب الشعبى والمعتقدات الشعبية . نالت علاقة الجن بالشعراء وصورة الشعراء من الجن اهتماما خاصا غير انها متفرقة فى ثنايا الكتاب لم يجمعها فصل واحد وذلك لطبيعة الكتاب الذى افرد فصولا للشعراء لا للموضوعات . وقد انفرد هذا الكتاب بذكر قصة عبد الله البجلى الصاحبى ولقائه بالجنى

---

(١) الجاحظ ، ابوعثمان عمرو بن بحر . كتاب الحيوان . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة : البابى الحلبى ، سنة ١٩٦٧ . جـ ٦ . ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ .

(٢) المرجع نفسه . ص ١٦٤ .

(٣) المرجع نفسه . ص ١٧٢ .

(٤) المرجع نفسه . ص ٢٢٩ والهمذانى . المرجع السابق . ص ١٤٥ .

مسحل صـــاحب الاعشى (١) وعلاقة جرير بجنية (٢) وكذلك قصة ابراهيم بن اسحاق الموصلى ولقائه بابليس وهى القصة التى كانت المصدر المباشر للمذانى فى كتابته المقامة الابليسية (٣) .

والمصدر الثالث لا يقل اهمية عن المصدرين السابقين هو المادة المجموعة فى كتاب الجمهرة . ومؤلف الكتاب ابوزيد القرشى مجهول لم يلق الضوء بعد على تاريخ حياته او تاريخ تاليف الكتاب . وقد تعددت الآراء فى تاريخ وفاته وهذا التعدد يوضح الغموض الذى يحيط بصاحب الكتاب . فقد حددها الرافعى (٤) أقدم مؤرخى الادب المحدثين ـ الذين تناولوا القرشى بالتاريخ ـ بسنة ١٧٠هـ وتابعه فى ذلك يوسف سركيس (٥) واحمد امين (٦) . الذى استند فى ذلك الى أن القرشى يروى عن المفضل الضبى فيقول : « ان صح ذلك فهو تلميذ من تلاميذه (٧)» وابتعد جرجى زيدان عن هذا التاريخ فحددها باواسط القرن الثالث ولكنه يبدو غير متيقن من تاريخه فهو

(١) ابوالفرج الاصبهانى ، على بن الحسين ، كتاب الاغانى ، القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، سنة ١٩٦٣ ، جـ ٩ ، ص ١٥٦ .

(٢) المرجع نفسه ، جـ ٨ ، ص ٦٩ .

(٣) المرجع نفسه ص ٢٣١ ـ ٢٣٥ ، والهمذانى ، المرجع السابق ، ص ١٩٠ ـ ١٩٥ .

(٤) الرافعى ، مصطفى صادق ، تاريخ اداب العرب ، بيروت : دار الكتاب العربى سنة ١٩٧٤ ، جـ ٣ ص ١٨٤ .

(٥) سركيس ، يوسف الياس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، القاهرة : مطبعة سركيس ، سنة ١٩٢٨ ، جـ ٤ ، ص ٢١٣ .

(٦) احمد امين ، ضحى الاسلام ، القاهرة : مكتبة النهضة ، سنة ١٩٣٥ ، جـ ٢ ، ص ٢٧٦ .

(٧) المرجع نفسه .

يستخدم كلمة يظهر انه نبغ (١) ويقترب من ذلك بروكلمان فيذكر أن حياته كانت أواخر القرن الثالث الهجرى (٢) ولا يبتعد شوقى ضيف عن ذلك كثيرا ، فهو يحدد تاريخا له أواخر القرن الثالث او أوائل القرن الرابع ، ولم يجزم بذلك ، فقد استخدم كلمة « ولذلك نظن (٣) » مستندا الى ما « يتضح من مقدمته لكتابه وما نقله عن الرواة ان الوسائط بينه وبينهم فى السند غير بعيدة (٤) ».

ولم تتوقف الابحاث فى تحديد هذا التاريخ فان احدا من هؤلاء الباحثين لم يدعم رأيه بالاسباب التى ادت الى تحديداتهم هذه حتى نشر مصطفى جواد بحثا بعنوان « مؤلف جمهرة اشعار العرب » . والبحث طويل لم يكشف فيه الباحث شيئا عن حياة القرشى ، وحاول أن يحدد تاريخ حياته من خلال دراسته للرواة وتاريخ وفاتهم ، فكان ان انتهى الى أنه من اهل القرن الخامس للهجرة ومع أن الباحث بذل جهدا كبيرا الا انه لم يحل مشكلة تاريخ حياة القرشى ، بل زادها غموضا .

حدد مصطفى جواد نقاطا مهمة ، وهى ان القرشى ذكر كتاب الصحاح للجوهرى المتوفى سنة ٣٧٠ ، وكتاب الفارابى المتوفى نحو سنة ٣٧٠ ، كما نقل عن المفضل بن

---

(١) جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة ، (د . ت) ، ج ١ ، ص ٤١٥ .

(٢) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الادب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، القاهرة : سنة ١٩٦٥ ، ج ١ ، ص ٧٥ .

(٣) ضيف ، شوقي ، العصر الجاهلي ، القاهرة : دار المعارف سنة ١٩٧٦ ، ص ١٧٨ .

(٤) ضيف ، شوقي ، المرجع نفسه .

مسعر الذى توفى سنة ٤٤٣ (١) . وقد رد على ذلك بروكلمان بأن النقل عن الصحاح لا يوجد الا فى حاشية الكتاب ، وينكر ان يكون الكتاب قد روى عن المفضل ابن مسعر (٢) . اما العبارة التى استند اليها مصطفى جواد بأن المؤلف قد ذكر كتاب ديوان الادب للفارابى ، فهى عبارة ارجح ان تكون حاشية فى الكتاب من ان تكون فى صلبه ولم يتوقف مصطفى جواد عند هذا الحد بل حاول جاهدا أن يضع نسبا للقرشى ، وحار فى امر هذا النسب واصاب حديثه القلق فهو مرة يذكر «ولانستطيع ان تبالغ فنقول انه من ذرية زيد بن الخطاب العدوى او من ذرية عمر بن الخطاب اخيه » (٣) ، ثم يعود ليضيف الى ذلك النسب شيئا آخر مستخدما كلمة يغلب على الظن « ان ابا زيد محمد بن ابى الخطاب القرشى كان عدوى الاصل أو اموى النسب (٤) وبعد أن قال لا نستطيع ثم يغلب على الظن يعود ليتناقض مع رايه الاول بقوله « استرجع ان يكون عدوى الاصل من رهط عمر بن الخطاب رضى الله عنه » (٥) وهو فى ذلك معتمد على اسمه ابى زيد محمد بن ابى الخطاب لا حجة له غير ذلك ، وهذا تخمين غير مقنع فهو مبنى على غير اساس فضلا عن انه لا يفيد فى تحديد تاريخه .

---

(١) جواد مصطفى . مؤلف جمهرة اشعار العرب - مجلة المجمع العلمى العراقى . بغداد : المجلد السابع ، سنة ١٩٦٠ ، ص ١٧٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٨٠ .

(٣) المرجع نفسه . ص ١٨٤ .

(٤) المرجع نفسه . ص ١٨٦ .

(٥) المرجع نفسه

وروايات الجمهرة لا تسعف كثيرا فهي قلقة والاسناد فيها منقطع ، حين يروى مباشرة عن الضبي مثل قوله « فمن ذلك ما حدثنا بي الضبي (١) يرفعه الى عبد الله ابن عباس دون أن يذكر أسماء الرواة فيما بين الضبي وابن عباس ، وبينه وبين الضبي . وسلسلة الرواية بعد ذلك تؤكد انه لم يرو مباشرة عن الضبي حيث انه ذكر ابن اسحاق وثلاثة رواة من بعده . والضبي عاصر جانبا من حياة ابن اسحاق . ولا يعني هذا أز الرواية لا ترد الى الضبي ، ولكن ذلك معناه ان هناك اضطرابا في سلسلة الرواة . ويصعب تحديد ما اذا كان هذا الاضطراب من المؤلف ام من النساخ . ولما كان هناك اكثر من راو يسمى بالمفضل يروى عنه صاحب الجمهرة ، فقد تصور مصطفى جواد انه وجد حلا لذلك ، فالمفضل الضبي والمفضل بن عبد الله المجترى اسمان لشخص واحد هو « المفضل بن عبد الله بن محمد بن المجبر (عبد الرحمن) بن عبد الرحمن بن عمر القرشي العدوى العمري (٢) » ولقد استخدم كل ضروب التخمين ليضع هذا النسب ليدلل على ان القرشي عاش في القرن الخامس . ولما لم يكن هذا دليلا على أن المفضل الضبي والمفضل بن عبد الله شخص واحد فقد انتهى الى ان احد الوراقين لما راى أن المفضل بن محمد الضبي اكثر شهرة من المفضل بن عبد الله حذف اسمه ووضع

---

(١) القرشي ، أبوزيد محمد بن ابي الخطاب ، جمهرة اشعار العرب ، تحقيق علي محمد البجاوي . القاهرة : دار نهضة مصر ، سنة ١٩٦٧ . جـ ١ ص ١ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٩٤ .

مكانه المفضل الضبي . وهذه حجة ضده اذ أن الحديث عن الوراقين واضافتهم وحذفهم يمكن أن يعكس القضية، فيقال ان أحد النساخ حذف اسم المفضل الضبى ووضع مكانه اسم المفضل بن عبد الله (١) ، غير انه لو اراد النساخ الحذف لما أبقوا على اسمى المفضل ليكونا من رواة الجمهرة ولابقوا اسما واحدا منهما .

والحق ان هذا كتاب بلا صاحب معروف ومن الممكن ان يكون هناك خلط من الشراح ومن النساخ ، ولكن ليس هناك دليل على ذلك ، وحتى توجد نسخة اقدم من النسخ الموجودة حاليا فان الحديث عن النساخ وعبثهم حديث لا يستند الى دليل .

ومحاولة متابعة راويتين من رواة الجمهرة احدهما هو أبو عبد الله المفضل بن عبد الله المجترى . والمفضل ابن الحباب البصرى قد يسهل عملية الوصول الى تحديد تاريخ تأليف الكتاب ، لقد ذكر فى الكتاب اسم المفضل عن أبيه عن جده (٢) دون أن يذكر اى مفضل هو ، وذكر فى موضع آخر اسم « ابى عبد الله بن عبد الله المجترى » (٣) .

وهو حين يذكر اسم المفضل عن ابيه عن جده دون تحديد لاسميهما فهو يعنى المفضل بن عبد الله ، وهو يرد روايته عن ابيه عن جده الى ابن اسحاق (٤) . واذا أخذنا بهذا يكون القرشى هو الرابع فى سلسلة الرواة ،

---

(١) المرجع نفسه .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٧ .
(٣) المرجع نفسه ، ص ٣٤ .
(٤) المرجع نفسه ، ص ٥١ .

ويكون بينه وبين ابن اسحاق ثلاثة أجيال . وقد توفى ابن اسحاق سنة ١٥٢ هـ (١) ، واذا حسبنا مدة ثلاثين عاما فيما بين الجيل والجيل يضاف اليها ثلاثون عاما هي مدة نضج صاحب الكتاب العلمية فيكون نضجه فى المدة الواقعة قبل سنة ٢٧٢ هـ او بعدها بقليل ، وهذا يقترب الى حد ما مع جرجى زيدان . ويتفق مع بروكلمان وشوقى ضيف .

وعند استقراء رواية المفضل بن ابى عبد الله نجد ان روايته ترد فى الكتاب مسندة اسنادا مباشرة الى محمد ابن سلام الجمحى ، اى بين الجمحى وبين مؤلف الكتاب جيل واحد تضاف اليه مدة نضج المؤلف ، فيكون البعد الزمنى بينه وبين وفاة ابن سلام ستين سنة .

ولما كان تاريخ وفاة ابن سلام هو سنة ٢٣٢ هـ (٢) فيكون زمن نضج القرشي هو سنة ٢٩٢ او بعدها بقليل . ولما كان هذا التاريخ يقترب من التاريخ السابق فانه يمكن الاستناد اليه فى تحديد زمن نضج المؤلف فى المدة ما بين ٢٧٢ ــ ٢٩٢ هـ ويكون كتابته لهذا الكتاب واقعة فى حدود هذه السنوات . وبالرغم من الوصول الى هذه النتيجة المشتركة مع اكثر من باحث ، فان كثيرا من المشكلات المتعلقة بالكتاب ومؤلفه لم تحل ، واهمها مشكلة صحة نسبة الكتاب الى القرشى ، وهل للكتاب مؤلف واحد فقط ؟

وما يعنينا هنا ان هذا الكتاب كان مؤلفا قبل ان يكتب

(١) ابن هشام . السيرة النبوية . المقدمة . تحقيق مصطفى السقا وآخرين . القاهرة : مصطفى البابى الحلبى . سنة ١٩٣٦ . ص ٥ .
(٢) زيدان . المرجع السابق . ص ٤٦٣ .

بديع الزمان الهمذاني كتابه ، وحتى اذا لم تقنع بهذا فان المادة المجموعة فى كتاب الجمهره بشـــــكلها الذى وصلتنا به كان معروفا فى عصر الهمذانى وصاحبه ابن شهيد . فالمادة التى قدمت تحت عنــــوان « فى قول الشـــعر على ألسنة الجن » (١) . لا تبرز رؤية مشابهة لرؤية الجاحظ ونقده للجن فى كتابه الحيوان او ذلك الشك الظاهر فى هذه القصص عند الثعالبى فى كتاب ثمار القلوب للثعالبى ، وانما تبرز على شكل حكايات شعبية مدونها قاص شعبى لا يهدف الى البحث والنقـــد فى طبيعة هذه القصص . وربما كان ذلك ما ادى بحميدة الى أن يشك فى الروايات الثلاث الاولى على انها « من وضع أبى زيد القرشى » . اراد أن يتحدث فيها عن بعض ما شاع فى الجاهلية والاسلام من وحى الشياطين الى الشعراء والقائهم الشعر على ألسنتهم (٢) بينما لم يطعن فى بقية الروايات ، وذلك لانها مذكورة فى مصــــادر أخرى . ففى الروايات التى ذكرها صاحب الجمهرة ست قصص تروى عن علاقة الجن بالابداع الشعرى والبقية تتحدث عن شعر الجن وقدرتهم النقدية . منها قصتان مرويتان عن ابن الزرودى احداهما مروية عنه مباشرة عن أبيه (٣) بينما الثانية يرويها عنه مظعون ابن مظعون الاعرابى (٤) . والثالثة عن رجل من اهل زرود عن ابيه

---

(١) القرشى ، المرجع السابق ، ص ٤٣ ـ ٦٣ .

(٢) حميده ، عبد الرازق ، شياطين الشعر ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، سنة ١٩٥٦ ، ص ٢٢٥ .

(٣) القرشى ، المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٤٦ .

عن جده يرويها مطرف الكنانى بن داب (١) . والرابعة عن المفضل عن ابيه عن جده عن العلاء بن ميمون الآمدى عن ابيه (٢) . والخامسة بلا راو محدد وتبدا بالفعل المبنى للمجهول « ذكر » (٣) ويشترك فى رواية هـذه القصة المرزبانى فى الموشح (٤) وربما كان ذلك سببا لابتعادها عن شك عبد الرازق حميده الذى يشـك فى القصص على انها من وضع القرشى دون ان يوضح اسباب شكه ، ولا سيما ان هناك قصصا اخرى عن الجن وقولهـا الشعر ترد رواياتها الى ابن اسحاق ، وهو لم يشك فى ان ابن اسـحاق قد وضع هذه القصص مع انه كان معروفا بين القـدماء بانه « مطعون عليه غير مرضى الطريقة » (٥) وابن النديم يجرحه بأكثر من ذلك بانه « كان يقال بأن الاشعار تعمل له ويؤتى بها ويسال ان يدخلها فى كتابة السيرة فيضمن كتابه من الاشـعار من صار به فضيحة عنده رواة الشعر (٦) » فابى اسحاق هنا يوضع فى درجة اقل من ان يؤلف الاشعار ويضعها فهى تعمل له كما أن هنـاك روايات بلا راو محـدد . وما ينطبق على الروايات الثلاث الاولى ينطبق على كل الروايات المذكورة فى الجمهرة كما انه ينطبق على كثير

---

(١) المرجع نفسه - ص ٤٧ .
(٢) المرجع نفسه - ص ٥٣ .
(٣) المرجع نفسه - ص ٦٢ .
(٤) المرزبانى - ابو عبد الله محمد بن عمران بن موسى - الموشح - تحقيق محمد على البجاوى - القاهرة : دار نهضة مصر ، ١٩٦٥ - ص ٥٥٢ ، ٥٥٣ .
(٥) ابن النديم - الفهرست ، بيروت : مكتبة الخياط ، (د . ت) . ص ٩٢ .
(٦) المرجع نفسه .

من الروايات التي ذكرها الاصبهـــاني في الجمهرة عن علاقة الجن بالشعراء . وموقف عبد الرازق حميده يمثل اتجاها فى دراسات الادب العربى القديم بدأ مع ظهور كتاب الأدب الجاهلى للدكتور طه حسين (١) عام ١٩٢٧ . وما قاله عن الانتحال فى الشعر الجاهلى . وقد وجـه هذا الكتاب الباحثين نحو بذل كثير من الجهد لكشف المنحول من غير المنحول من الشعر العربى القـــديم . ولا يكاد يخلو كتاب واحد من الكتب التى درست الادب العربى القديم من التعرض لهذه المشكلة . وهذا الجهد محمود ولكنه وجه الدراسات الادبية فى غير طائل ، فلم يستطع احد من الباحثين ان يحدد المنحـــول من غير المنحول فى معظم الشعر الجاهلى . وكان من الخير لو توجهت الدراسات الادبية نحو الراوى تحدد ذوقه وذوق عصره وجمهوره ، فكل راو على قدر كبير من الابداع ، فهو خالق بدرجة لا تقل عن القصاص والشعراء الذين يروى عنهم . وفى الروايات التى يبعد ما بين راويتها الاول والراوية المدون او الملى يكون قد دخل الرواية كثير من الزيادة والنقصـــان بفعل تغير الراوى وتغير ثقافته ايضا ، فالراوى انسان صاحب موقف وصاحب دور . والحكاية لا تروى بطريقة واحدة عندما تنتقل من راو الى راو آخر كما انها لا تروى بطريقة واحدة مرتين من نفس الراوى ، فهى تتغير حسب نوعية الجمهور سواء أكان يستمع اليها على انها عقيدة أم على انها نوع من التسلية الفنية . وكذلك حسب مزاج الراوى ســـاعة

(١) طه حسين . الادب الجاهلى . القاهرة : مطبعة الاعتماد ، سنة ١٩٢٧ .

القص ورؤيته لنفسه . ومدى احساسه بهذا الجمهور .

وهناك أمر هام وهو الاسناد ، فالرواية الشعبية لها اسنادها كما ان لرواية العالم اسنادها . فهل كان اختراع الاسناد فى الرواية الشعبية مؤثرا فى رواية العالم أم ان العكس هو الصحيح ؟ فالقصص العربية الشعبية لها تاريخ عريق فى صياغة الحكم وهى لا تبدأ بحدث ذات يوم على عادة القصص الشعبى العالمى وانما تبدأ « بيحكى أن » أو « روى » أو « كلام قالوه اهل زمان » . هذا بالاضافة الى ان كثيرا من السير الشعبية المعروفة تضع سندا للسيرة يرد فى بعضها للاصمعى او لوهب بن منبه . ولهذا الاسناد وظيفة هامة، فهو فى رواية العالم محاولة لتأكيد الصدق التاريخى للرواية بينما فى القصص الشعبى هو محاولة للايهام وجذب انتباه السامع بهذا الايهام ، فالقاص الشعبى يحاول أن يوقع فى نفس محدثه أن ما يقوله حدث فعلا وهو واقع تاريخى . ويمكن القول أن هناك علاقة تبادل بين القاص الشعبى والقاص العالم فان التراث العلمى العربى فى التوثيق لم يصدر عن فراغ ولابد أن له أصوله الاولية ، وربما كان اكثرها شيوعا هو لفظة روى ، ويحكى ان ، وذكر ، ثم تطور ذلك ليصبح اسنادا متصلا كما أصبح ضرورة لرواية العالم . جعلها ضرورة هامة علم الحديث ومحاولة ضبط روايته وتحقيق صحته . ولقد انعكس ذلك بالطبع على الراوى الشعبى الذى جعل اختراع السند جزءا من المكونات الفنية لعملية القص .

ولقد نجح القاص الشعبى لا فى اخفاء عنصرى الصدق والكذب على مستمعيه فقط ، وانما على الرواة

العلماء ايضا الذين تصوروا هذه الروايات بعد مضى زمن على روايتها وشيوعها انها احدى روايات العلماء ونقلوها دون ان يكون لها سند موثوق او راو معروف ولم يشك فى هذه الروايات سوى بعض العلماء العقلانيين من أمثال الجاحظ .

وهنـــا يجب التفريق بين نوعين من الرواة : الراوى الشعبي والراوى العالم ، فالراوية الشعبى اكثر حرية من الراوية العالم لذا فهو اكثر ابداعا لارتباطه بالجمهور ارتباطا مباشرا ومحاولته ارضاء هذا الجمهور هدف من اهم اهداف الرواية الشعبية ، يرضيه بخلق الغريب من القصص او بزيادة الاغراب فيها . كما يرضيه بالتلوين الصوتي الذى يصاحب روايته . يقلد الطبيعة ويغرق فى تقليدها كما يستخدم الحركات الجسمانية مصـاحبة لادائه ، فهو يعيش الرواية معيشة تامة وينقل جمهوره الى العالم الذى يتحدث عنه . اما الراوى العالم فهـو ملتزم الى حـــد ما بالنص وبجمهور مثقف لا يروى له ليسليه وانما يروى ليعلمه . ولقـــد استخدم الرواة العلماء منحى توثيق الرواية واهتموا اهتمـــاما كبيرا بالاسناد . ومع ذلك فانهم لم يستطيعوا ان يحافظوا على كلمات النص فقد حدث فيها تغيير كبير . وعند النظر الى كتاب مثل كتاب الاصبهانى الاغانى فان كل الروايات المنسوبة الى الجاهليين والاســـلاميين على حد سواء يسودها لغة واحدة وتنتفى فيها حدود اللهجات ولا يظهر اختلاف بين قبيلة وقبيلة او عصر وعصر اللهم الا القليل وفى الفاظ محدودة بما لا يدع مجالا الشك اننا امام لغة الاصبهانى لا لغة الراوى ويستثنى من ذلك ما نقله من

الكتب التى لا شك انه حدث فى رواياتها نفس ما حدث للرواية فى كتاب الاغانى .

وما حدث للفظ فى روايات القـــرشى حدث لمسيرة الاحداث . ولغة الروايات التى تتحدث عن الجن لاتتغاير فهو اسلوب راوية واحد . كما انه يروى عن مجهـــولين او راو لا يذكر اسمه وانما بصفة من صفاته مثل « شيخ من البصرة » او رجل من اهل زرود .

فروايات قصص الجمهرة هذه تتبع اسلوب القصص الشعبى فى القص . وهذا يمكن ان يجعل مشكلة الزمن الذى الف فيه كتاب الجمهرة غير ذات موضوع . وسواء الف الكتاب فى القرن الثانى او الثالث او الرابع او الخامس فان القصص التى روتها الجمهرة عن الشـــعر وعلاقته بالجن قصص شعبية متداولة عرفت فى عصر الـــكتاب وبعد عصر الـــكتاب فى عصر بديع الزمان الهمدانى وابن شهيد وقبل عصرهما . وطبيعى ان تكون معروفة لديهم . وقد يكون الزمن والرواة لعبا فيها بالحذف والزيادة عن قصد او غير قصد ولكن الشكل الذى رويت فيه الحكاية او الخبر يرد اولا واخيرا للراوى فهو صاحب القدرة على سبك الحكاية بصيغتها الاخيرة المروية بها .

ومن الواضح ان هذه القصص رويت لجمهور مؤمن بها كما ان راويها على قدر كبير من الثقافة الشعبية ولم يكن من اصحاب المواقف العقلانية . وهذا ما يجعل لهذه الروايات قيمة كبيرة فقد حملت صورة واضحة عن عالم الجن وعلاقتهم بالشعراء دون ان يكون الراوى شخصية من شخصيات الخبر فان احدا منهم لم يقل انه راى هؤلاء الجن المبدعين .

ففي الخبرين الاولين حكاية واحدة ، وراوي الخبر الاول هو ابن المروزي وفي رواية الزرودي وفي رواية ثالثة ابن الزرودي وقد ذكر في هامش احدى الروايات اسم ابي طلحة موسى بن عبد الله الزرودي ويحدث تغيير في هامش نسـخة اخرى في الزرودي هذا ليصبح الزوردي (١) . وعدم الثبات في اسم الشخص يوضح الى أي مدى ان هذه الرواية لمجهول كمـا يوضح ان التغيير لم يحدث فقط في الرواية الشعبية وانما حدث ذلك أيضا في رواية العلماء . يقص الراوي عن ابيه انه التقى بهبيد جنى ابن الابرص وروى له من شعره ، كما حادثه عن ابن عمه مدرك بن واقم صاحب الكميت (٢) وبعد ذلك اتاه الجني بعس من لبن كرهه لزهومته فعلم بعد ذلك انه لو شرب هذا العس لكان اشعر قومه فندم على عدم شربه .

لم تنته القصة عند هذا الحد اذ ان الراوي يجعل من قصته مقدمة للقصة الثانية ، فلقد ادته هذه القصة الى أن يعيش متشوقا لرؤية هادر او مدرك حتى كبر وضعف ولزم وطنه ، فكان يلقى الرائحين والغـادين . وكان ذلك تمهيدا للقاء رجل من اهل الشام ورد عليه فاكرمه وقدم له العشاء ثم اخذ الرجل في الصلاة بينما كان يروي ابنيه شعر النابغة ، فانفتل الرجل من صلاته ليخبره انه في احدى سفراته سار في بلقعة من الارض لا انيس بها ، فرأى نارا ذهب اليها ، فالتقى برجل معه صبية صغار . روى له الرجل من اشعار امرىء القيس

(١) القرشي ، المرجع السابق ، ص ٤١ ، والهامش .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٥ .

والنابغة وعبيد وحين انشده شعر الاعشى استخدمت الرواية لفظ « اندفع » لتوضح الحرارة التى انشد بها شعر الاعشى حتى لا يفاجأ السامع حين يعلم ان هذا الرجل ليس الا جنيا وانه مسحل السكران صاحب الاعشى (١) . وبالتالى فان الشعر شعره .

والقصة الثالثة يرويها مطرف الكنانى عن ابن داب عن رجل لا تتحدث عنه الراواية الا بانه ثقة والرواية عن ابيه عن جده انه خرج فى طلب لقاح له على فحل من الابل فجرى به الفحل يسبق الريح حتى وصل الى خيمة بها شيخ كبير . ولم يكن هذا الشيخ سوى لافظ بن لاحظ شيطان امرىء القيس ولم تكن هذه الارض سوى ارض الجن ، فأنشده الشيخ من شعره وطلب من ابنة له أن تنشد من شعر هاذر صاحب الذبيانى قصيدة علمها لها » (٢) .

والقصة الرابعة تروى عن المفضل عن أبيه عن جده عن العلاء بن ميمون الآمدى عن ابيه ومكان احداثها بعيد عن الجزيرة العربية فى جزيرة من جزر بحر الخزر . ولم يكن والد العلاء بمفرده ، وانما كان معه رجل آخر من قريش ، التقيا بالسفاح ابن الرقراق الجنى صاحب الحارث بن مضاض الجرهمى وقد اعتزل موطنه منذ أن تفرقت الجن « وتطلقت الطوالق المقيدة من وقت سليمان عليه السلام (٣) » . وبقى عابدا لله وقد آلى الا يغادرها حتى يسمع بخروج النبى عليه السلام . وفى القصة

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٧ — ٤٩ .

(٣) القرشى ، المرجع السابق ، ص ٥٥ .

خلط تاريخى فراوى القصة يجعل المدة بين سليمان عليه السلام وبين عمر بن الخطاب رضى الله عنه باربعمائة سنة كما يجعل سليمان معاصرا لعبد مناف (١) .

والقصة الخامسة بلا راو وبلا اسـناد تروى عن الفرزدق وحديثه عن الهوبر والهوجل (٢) .

وليست هذه كل قصص الفصل الخاص بقول الجن الشعر فى الكتاب ، وانما هناك روايات اخرى من قول الجن الشعر وبصرها بنقده ، فهناك قصة يظهر اسنادها قلقا فهى تروى عن سنيد او عن سعيد بن حزام عن ابيه عن ابى عبيدة عن ابى بكر المزنى عن شيخ من اهل البصرة لم يذكر اسمه انه خرج فى ليلة مقمرة فاقبل عليـه شخص ينشد شعرا ، ويدرك الشيخ انه من الجن اذ اقبل راكبا على ظهر ظليم قد خطمه . ثم دار بينهما حوار عن الشعر والشعراء سأله فيه الرجل عن أشعر الشعراء ثم سأله أن يحدد قائل بعض الابيات الشعرية (٣) .

وهكذا تكون هذه القصص قد احتفظت بالمعالم الخاصة باطار الحكى الشعبى وهذا لا يتفرد به الـكتاب ولـكنه يتفرد بهذا اللون من القصص بما يعطى صورة واضحة عن هذا الموضوع . واذا اضيف اليها قصص الجاحظ فى الحيوان والاصبهانى فى الاغانى فان الصورة تكون قـد اكتملت عقيدة وفنا ما زال صداها يعيش الى الآن .

ولقد استطاعت هذه القصص ان تلم وتؤثر فى اهم

---

(١) المرجع نفسه .
(٢) المرزبانى . المرجع السابق . ص ٥٥٣ .
(٣) القرشى . المرجع نفسه . ص ٥٠ ــ ٥١ .

الاعمال الدرامية فى الادب العربى . وعنـد النظر الى البعد الزمنى بين أول من استخدم هذا الموضـوع كفن لا كعقيدة وهو الحكم بن عمرو البهرانى وبين آخر من استخدمها وهو احمد شوقى ما يزيد عن الف ومائتى عام . وهذا يؤكد ان هذا الموضوع يملك قوة جذب كبيرة وانه قادر على الحياة وتخطى حدود الزمان الذى نشأت فيه هذه القصص .

الباب الاول :

فى النشر

الفصل الاول :

المقامة الأسودية والأبليسية للهمزاني

— ١ —

اخذ بديع الزمان الهمذاني شـــهرة كبيرة فى الادب العربى بكتابته المقامات المشهورة باسمه . والمقامة نوع من القصص القصيرة مبنية فى معظمها على شـــخصيتين احداهما عيسى بن هشام والاخرى ابو الفتح الاسكندرى، وهو من الأدباء السيارين او المكدين السائلين يطوف من مكان الى مكان يستجدى الناس بفصـــاحته . وراوى القصة هو عيسى بن هشام الذى كثيرا ما يحكى اخباره واخبار صاحبه ابى الفتح الاسكندرى (١) . ولقـــد اثيرت قضايا كثيرة حول الاصول الفنية للمقامة : اهى من اختراع بديع الزمان ام انه سبق اليها (٢) ، كما اثير نقاش حول عددها (٣) . وهذا البحث لا يعنى باى من هذه القضايا ؛ اذ انه منصب حول دراسة موضوع الجن وعلاقته بالابداع الشعرى كمـا استخدمه بديع الزمان

---

(١) من بين التعريفات الكثيرة للمقامة اخترت تعريف شوقى ضيف ، وادخلت عليه بعض الاضافات . انظر : ضيف ، شوقى . الفن ومذاهبه فى النثر العربى . القاهرة : دار المعارف . سنة ١٩٦٥ . ص ٢٤٦ ، ٢٤٧

(٢) حسين ، محمد رشدى . اثر المقامة فى نشأة القصة المصرية الحديثة . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٤ . ص ٩ ــ ١٥ .

(٣) انظر : ضيف ، شوقى . المرجع السابق . ص ٢٤٧ .

الهمذاني في مقامتين من مقاماته وهي المقامة الاسودية والمقامة الابليسية .

ـ ١ ـ

تسمى المقامة الاسودية (١) نسبة الى الاسود بن قنان الذي نزل بيته عيسى بن هشام .

والمقامة تبدأ بحديث عيسى بن هشام ، وقد اتهم انه اصاب مالا بغير حق فهام على وجهه هاربا حتى اتى الى البادية . ووصل الى ظل خيمة يستظل بها ، فصادف غلاما حدثا يلعب في التراب مع أترابه ، وهو ينشد الشعر . تعجب عيسى من قدرة الغلام ، فرد عليه الطفل كاشفا السر في نبوغه الشعري صغيرا :

اني وان كنت صغير السن
وكان في العين نبو عني
فان شيطاني امير الجن
يذهب في الشعر كل فن
حتى يرد عارض التظني
فامض على رسلك واغرب عني (٢)

وبعد ذلك انتقلت المقامة الى الموضوع الاساسي وهو الكدية والمدح بمناداة الفتى الصغير على فتاة ، فتحضر وتطمئن عيسى الى انه نزل في مامن ، يستخدم الهمذاني ذلك مدخلا ليمتدح الاسود بن قنان ، ثم يتحرك بعدها

---

(١) الهمذاني ، ابوالفضل بديع الزمان ، المقامات ، شرح الشيخ محمد عبده المصري ، بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، (د ، ت) ، الطبعة الثانية ص ١٤٤ ـ ١٤٨ .

(٢) الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

للشكل العام الذى بنى عليه معظم مقاماته ، وهو الكدية، فالفتاة تومىء للفتى الصغير ان ياخذه الى بيت الاسود حيث يجد ابا الفتح الاسكندرى بين الضيوف .

كان المركز الاساسي للحدث فى المقـــامة مبنيا على الابيات التى انشدها الطفل « انى وان كنت صغير السن . الخ » وهى تنسب لمالك بن اميـــة . وقد ذكر منها الجاحظ الاسطر الثلاثة الاولى (١) . وذكر الثعالبى فى كتابه يتيمة الدهر اشطرها الاربعة (٢) ، وسجل بن جنى فى كتابه الخصائص الاشطار الخمسة الاولى (٣) . وليس للهمذانى غير الشطر الاخير فقد وضعه ليصبح جزءا من الموقف وملائما لرد الطفـــل على تعجب عيسى منه ؛ فالشطر « فامض على رسلك والغرب عنى » مؤتلف مع موضوع الفخر والتحرك به الى موضوع الكدية فالمدح . ولقد استخدم البيت الاخير ليبين ايضا حدة الفتى التى تجعل عيسى يشعر بالهيبة من الغلام فيقول له :« يا فتى العرب ادلنى اليه خيفة » (٤) ، ويكون ذلك مدخله لطلب القرى ، فطفل هذا ذكاؤه وقوله يمكن ان يسأل من القرى، بل وما هو اكثر من القرى الامن الذى يحتاجه الهارب « فهل عندك امن او قرى » (٥) وبذلك يدخل الى بقية احداث المقامة .

كانت الابيات معروفة متواترة للادباء فى عصرالهمذانى

---

(١) الجاحظ ، ابوعثمان عمرو بن بحر . كتاب الحيوان . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة : سنة ١٩٦٧ . جـ ٦ ، ص ٢٢٥ .

(٢) الثعالبى ، ابومنصور عبد الملك بن محمد . ثمار القلوب . القاهرة : مطبعة الظاهر ، سنة ١٩٠٨ . ص ٥٦ .

(٣) ابن جنى ، ابو الفتح عثمان . الخصائص . تحقيق محمد على النجار . بيروت : دار الهدى ، سنة ١٩٥٢ . جـ ١ ، ص ٢١٧ .

(٤) المرجع السابق . ص ١٤٦ .

(٤) المرجع نفسه .

الذى كان على معرفة تامة بالجاحظ ، فظهرت معرفته هذه من خلال موقفه النقدى من الجاحظ ، وقد صاغه فى مقامة أسماها « المقامة الجاحظية » (١) . وبطبيعة الحال كان يعرف كتابه الحيوان الذى اورد الابيات ، كما كان يعرف الثعالبى الذى كان معاصرا له ، فقد ذكر فى اليتيمة انه كتب مقاماته فى نيسابور حين وصلها سنة ٣٨٢ (٢) . وهناك راى آخر يجعل تاريخ كتابتها سنة ٣٩٢ هـ (٣) ، لو صح الراى الثانى فان بديع الزمان الهمذانى يكون قد اطلع على كتاب ثمار القلوب الذى كتب فى هذه الفترة ، ولقد توفى بديع الزمان الهمذانى سنة ٣٩٨ هـ (٤) وتحدث الثعالبى عنه باعجاب شديد . وقد أورد الابيات دون ان يذكر قائلها وصدرها بنفس عبارة الجاحظ « وقال آخر » ولم تكن هناك قصة وراءها تلائم الهمذانى ليضمنها مقامته ليقوم بوضع قصة حولها ، غير ان الابيات ومحاولة تفسيرها بشكل قصصى لم تكن كافية لتملا احداث مقامة ، فيضيف مع شخصية الفتى شخصية الفتاة وشخصية اخرى لم تظهر ، وانما هى المقصودة بالمقامة ، وهى شخصية الاسود ابن قنان

(١) المرجع نفسه .

(٢) الثعالبى . يتيمة الدهر . القاهرة : مطبعة الصاوى سنة ١٩٣٤ ، ص ٢٤٦ .

(٣) ياقوت الحموى . معجم الادباء . بيروت : داود دافيد صموئيل مارجليوث ، سنة ١٩٣٦ . جـ ٢ . ص ١٦٦ .

(٤) ابن خلكان . ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابى بكر . وفيات الاعيان . تحقيق محيى الدين عبد الحميد . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، سنة ١٩٤٨ ، جـ ١ ، ص ١١٠ .

التى تبرز من خلال شعر الفتاة فى مدحه ، وحين يذهب الى البيت ويلتقى بالاسكندرى لا يتوقف المدح فهو أيضا يأخذ فى مديح الاسود بن قنان ، وتنتهى المقامة بتعجب عيسى من اساليب الاسكندرى فى الكدية فهو لم يترك طريقا الا سلكها ثم يفترقان .

— ب —

وفى المقامة الابليسية (١) يطرق موضوعا متداولا عن علاقة الجن ودورها فى الهام الشعراء .

ويروى عيسى بن هشام ان ابلا له ضلت فخرج فى طلبها فحل بواد اخضر به أنهار جارية واشجار باسقة ، واذا به يجد شيخا جالسا ، فأصابه الروع غير أن الشيخ هدأ من روعه . وسأله ان كان يروى أشعارا ، فأنشد له من أشعار امرىء القيس ولبيد وطرفه ، فلم يطرب لهذا الشعر ، ثم أنشد الشيخ قصيدة « بان الخليط ولو طووعت ما بانا ... » حتى أتى على القصيدة كلهـــا فأنكر عليه عيسى أن يدعى قصـــيدة معروفة مشهورة لجرير ، ولكن الشيخ لم يهتم لما يقول وسأله ان كان يروى شعرا لأبى نواس فأنشده « لا أنشد الدهر ربعا غير مأنوس » فطرب الشيخ وشهق وزعق ، فلم يستملح عيسى بن هشام منه أن ينتحـــل شـــعر جرير ثم يطرب لفويسق عيار . ويبدو أن الشيخ ضاق به فطلب منه أن يمضى لحال سبيله ، ثم وصف له الكيفية التى يجد بها ضالته وذلك بطريقة ملغـــزة . وانتهى الموقف مع

(١) الهمذانى ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

الشيخ بأن كشف له عن شخصيته ، فهو ابو مرة ابليس ، وغاب الشيخ بعد ذلك عن عينيه .

سمع عيسى نصيحة ابى مرة ، فاهتدى الى ابله التى كانت مختبئة فى غار فردها الى الوادى .

وتنتهى المقامة حين يدخل ابو الفتح الاسكندرى على عيسى بن هشام وهو تدب الخمر ويسلم عليه فيخبره بخبره ، فيومىء الاسكندرى الى عمامته ويقـول هذه ثمرة بن ابليس ، وتكون آخر عبارة يقـولها عيسى بن هشام له : « يا ابا الفتح شحذت على ابليس » (١) .

والحكاية التى بنيت عليها المقـامة ليست جديدة ، فتأثير الحكايات التى رويت عن الشعر الجـاهلى والاسلامى وألهام الجن للشعراء واضحة فيها .

وهناك أكثر من قصـة استلهمها المؤلف من هـذا الادب . ومن اهم هذه القصص القصة المروية عن جرير بن عبد الله البجلى الصحابى ولقائه بمسحل السـكران صاحب الاعشى وقد انشد له احدى قصائده . ولما كان جرير بن عبد الله البجلى يعرف أن هذه للاعشى ، فقد أخبره الجنى انه مسحل السكران يظهر تأثيرها أيضا فى المقامة . فلقد تم اللقاء بين الاعشى وصاحبه دون أن يعرفه وقد ضل الطريق ، وانشد له الاعشى من شعره : « رحلت سمية غدوة أجمالها » ، كما أنشد له « ودع هريرة ان الركب مرتحل ؟ وبعد أن تحادثا وقتا كشف له مسحل عن

---

(١) الهمذانى . المصدر السابق . ص ١٩٥ .

(٢) أبو الفرج الاصبهانى ، على بن الحسين . كتاب الاغانى . القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر . نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، ١٩٦٣ . جـ ٩ ، ص ١٥٦ وانظر الكتاب ص ١٤ .

نفسه ولم تكن سمية وهريرة سوى ابنتيه ، وبعد ذلك دله على الطريق (١) .

ويروى صاحب الجمهرة قصتين قريبتين لحكاية المقامة ، فهى تتبع نفس الخط الذى سارت فيه الرواية. يذكر صاحب الجمهرة عن المروزى عن ابيه انه خرج على بعير صعب . وسار به البعير دون ان يملك من امر نفسه شيئا ، فمر على ظباء خافت منه ، ثم التقى برجل عليه اطمار حاول ان يمنعه الظباء فلما لم يفلح صاح بالبعير صيحة ، فضرب بجرانه على الارض فوثب عنه ، وقد علم ان هذا الرجل من الجن ، فاعتذر له ثم ساله ان كان يروى شعرا . فانشده الجنى « طاف الخيال علينا ليلة الوادى » ولم تكن هذه القصيدة سوى قصيدة عبيد بن الابرص (٢) . والقصة لا تنتهى عند هذا الحد فالمروزى نفسه يروى عن نفسه انه كان يخرج فى القياف ليلا ونهارا امله يلتقى باصحاب الشعراء من الجن حتى كبر ولزم بيته ثم لقى رجلا من اهل الشام كان يسير ببلقعة من الارض لا انيس بها ، اذ رفعت له نار ، فدفع اليها فاذا بخيمة بفنائها شيخ كبير ومعه صبية صغار . تحادث الشامى معه طويلا ثم سأل الشيخ أن ينشده من شعره فاندفع ينشد للاعشى فاستغرب الشامى ان ينشده شعرا معروفا للاعشى ، فما كان من

(١) الالوسى ، محمود شكرى ، بلوغ الارب فى معرفة احوال العرب ، تحقيق محمد بهجت الاثرى ، القاهرة : مكتبة محمد الطيب ، سنة ١٩٤٣ هـ ج ٢ ، ص ٣٦٧ ـ ٣٨٦ .

(٢) القرشى ، أبوزيد محمد بن ابى الخطاب ، تحقيق علي محمد البجاوى ، جمهرة اشعار العرب ، القاهرة : دار نهضة مصر ، سنة ١٩٦٧ جـ ١ ، ص ٤٢ ـ ٤٦ .

الشيخ الا ان اخبره بحيثيته فهو مسحل السكران تابع الاعشى (١) .

وهناك رواية اخرى من روايات صاحب الجمهرة عن المطرف الكنانى عن رجل من اهل زرود (٢) . والرواية تبدأ برجل يروى انه خرج فى طلب لقاح له على فحل قصير قوى ، فمر به يسبق الريح حتى دفع الى خيمة بفنائها شيخ كبير ، فلم يرد عليه السلام ، ودار بينهما حوار فسأله الشيخ : من اين ؟ فاستحمقه الرجل اذ بخل برد السلام واسرع الى السؤال . والقصة تسير نفس مسار قصة المقامة حتى استخدام الحوار بين عيسى وابليس يلتقى مع الحوار بين الرجل والجنى ، اذ ان هذا الجنى لم يكن سوى لافظ بن لاحظ جنى امرىء القيس . وثمة فرق بين القصتين هو ان القصة تحوى دورا لابنة الجنى فقد قامت بالانشاد من شعر الذبيانى ، وكما انتهت قصة عيسى بن هشام بعثوره على ابله . فقد انتهت قصة الزرودى بان نهض به الفحل وعاد الى لقاحه .

تلتقى هذه الروايات مع المقامة فى اداء فنى واحد فالقصة عادة تبدأ :

برحلة يقوم بها الراوى
يضل فيها الراوى الطريق
ثم يلتقى فيها بشيخ
يتم التعرف على الشيخ فاذا به « جنى » .
يتعرف الراوى بعد ذلك على الطريق .

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٤٢ ـ ٤٦ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٦ ـ ٤٧ .

والراوى هنا او من تنسب اليه الرواية يقوم برحلة ، وقصة الاعشى تبدأ بخروجه الى حضرموت يريد قيس ابن معد يكرب (١) . وقصة البجلى تبدأ بقوله « سافرت فى الجاهلية » (٢) . ورواية ابن المرورى « خرجت على بعير لى صعب » (٣) وقصة الشامى تبدأ « بينما أنا اسير فى طريقى ببلقعة » (٤) وقصة جد الزرودى تبدأ بقوله « خرجت فى طلب لقاح » (٥) . والمقامة تبدأ بحديث عيسى بن هشـــــام « اضلت ابلا لى ، فخرجت فى طلبها » (٦) .

فالحركة الاولى هى الرحلة او الخـــروج ، فالجنى الشـــــاعر والملهم لا يلتقى بهؤلاء الناس فى منازلهم ولا يذهب اليهم وانما يلتقى بهم عن طريق الصدفة . والصدفة تاخذ مكانهـــا بعد الرحلة وذلك بان يضل المسافر الطريق . ولقد ضل جميع ابطال هـــذه الروايات طريقهم ، وليست لاحد منهم يد فى هذا ، فانه تم لعدم معرفة بالطريق او لعجز الراوى عن التحـــكم فى دابته فتقوده الى موقع الجنى الملهم .

ويتم اللقاء عادة دون معرفة او تصور مسبق بانهم سوف يلتقون بجنى .

ويبدأ تعرف الانسى على الجنى بعد أن ينشده الجنى

---

(١) الالوسى . المرجع السابق . ص ٣٦٧ .
(٢) القرشى . المرجع السابق . ص ٤٣ .
(٣) المرجع نفسه . ص ٤٧ .
(٤) الاصبهانى . المرجع السابق جـ ٩ ، ص ١٥٦ .
(٥) المرجع نفسه . ص ٤٦ .
(٦) الهمذانى . المصدر السابق . ص ١٩٠ .

من شعره ، هذا باستثناء رواية الزرودي ، ففى احدى نسخ الجمهرة يتعرف الراوى عليه قبل انشاد الشعر . ويبدو ان هذه اضافة ، اذ يروى فى معظم النسخ التى اعتمد عليها البجاوى فى تحقيق نسخته انه تعرف اليه بعد ذلك (١) .

ولقد تم تعرف عيسى بن هشام على ابليس بعد ان تطارحا قول الشعر ، اذ قال ابليس : « ما من احد من الشعراء الا ومعه معين منا ، وانا امليت على جرير هذه القصيدة وانا الشيخ ابو مرة » (٢) .

وياخذ الرواة الشك فيما يقول الجنى فى كل هذه القصص . وقد يسخر الراوى منه كما فى قصة الزرودى اذ يسخر من صاحب امرىء القيس بقوله : « الا تستحى ايها الشيخ » (٣) وحين ذكر له اسمه لافظ بن لاحظ علق بقوله : « اسمان منكران » (٤) . ويتكرر هذا الموقف فى المقامة فان عيسى بن هشام سخر من ابليس حين ادعى قصيدة جرير لنفسه وطرب حين استمع لقصيدة ابى نواس بقوله : « قبحك الله من شيخ لا ادرى أبنتحالك شعر جرير انت اسخف ام بطربك من شعر ابى نواس وهو فويسق عيار » (٥) . وواضح هنا ان الهمذانى قد استبدل فى مقامته جريرا بامرىء القيس كما استبدل بشعر النابغة شعر ابى نواس .

---

(١) القرشى - المرجع السابق - ص ٤٨ .
(٢) الهمذانى - المصدر السابق - ص ١٩٢ .
(٣) المرجع نفسه .
(٤) القرشى - المرجع السابق - ص ٤٨ .
(٥) الهمذانى - المصدر السابق - ص ١٩٢ .

وكما وجد جميع هؤلاء الرواة طريقهم بعد ذلك اما بمساعدة الجنى او دون مساعدة منه فقد دل مسحل السكران الاعشى مباشرة على الطريق بقوله : « لا تعج يمينا ولا شمالا حتى تقع ببلاد قيس » (١) . وفى رواية ابن المروزى أن الجنى قال لابنى : « امض راشدا مصاحبا » (٢) ، فهو دعاء لا يخلو من هداية الجنى له . اما فى المقامة فقد دله على الطريق بالقاء لغز لغوى له يعنى حله انه اذا وجد رجلا يحمل مقبة فليساله عن الطريق وعن مسرجة . وساعده حل هذا اللغز على ان يجد ضالته .

وتعقيد الهمدانى لموقف التعرف هو الفارق بين الرواية الشفوية والرواية المكتوبة ، فالهمدانى يحاول ان يكشف عن قدرته اللغوية التى لم يكن الراوى فى حاجة الى ان يقيم دليلا عليها ، كما انها لم تكن هدفا من اهداف الرواية الشفوية .

اما صورة الجنى كما قدمتها هذه الروايات فقد اختلفت باختلاف الراوى ، ففى قصة الاعشى لم تبرز صورة واضحة لتكوين الجنى الجسمانى . وربما كان ذلك لان الاعشى ضعيف البصر وكان من الطبيعى الا تبرز صورة جسمانية عن الجنى . يختلف ذلك عن الرواية المسندة للبجلى ففيها تقدم صورة تصف الجن بالقبح والدمامة، وتصف مسحلا بانه « أشد تشويها منهم » (٣) . ولما كان البجلى صحابيا فانه من الطبيعى ان تصف الرواية

(١) الالوسى ، المرجع السابق ، ص ١٨ .
(٢) القرشى ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

المنسوبة اليه الجن بهذه الصـــورة القبيحة . اما في الروايات التى ذكـــرها القرشي فهـو يبرز في هيئة الانسان . يصوره ابن المروزى بانه « رجل عليــــه اطمار » (١) . ويصـــفه الرجل الشامى بانه « شيخ كبيـــر » (٢) . وهـــذا الوصف يلتقى مع رواية الزرودى (٣) غير ان هذه الروايات لا تزيد عن هـــذا الوصف المقتضب .

ولقد تفاوتت الروايات المروية عن العصر العبـاسي ، تجعله تارة قبيحا وتارة ذا هيبة وجمـال . والرواية المسندة الى اسحاق بن ابراهيم الموصلى عن ابيه تختلف عن مرويات العصر الاموى بان تجعـــــله يذهب الى ملهمه (٤) . هذا فضلا عن انها تبرزه شيخا ذا هيبة وجمال .

يبدو ان هناك اجماعا على جعل ابليس يبدو في صورة الشيخ فقد عاصر خلق الكون ، وكان سابقا عليه وقد سماه ابو نواس بالشيخ « والشيخ نفاع على لعنته » (٥) والهمداني لم يخرج عن هذا اذ جعله شيخا (٦) .

وقد استخدم الهمداني الرؤية العامة لهذه الروايات عن الجن فهم ــ فضلا عن منحهم الشعراء ابداعهم ــ اصحاب قدرة على تمييز الشعر الجيد من الرديء .

---

(١) ابو نواس ، الحسن بن هانيء ، ديوان ، تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي ، بيروت : دار الكتاب العربي ، (د . ت) ، ص ٣١٥ .
(٢) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ١٩٠ .
(٣) القرشي ، المرجع السابق ، ص ٤١ .
(٤) المرجع نفسه ، ص ٤٧ .
(٥) المرجع نفسه .
(٦) الاصبهاني ، المرجع السابق ، ص ٥ ، ص ٢٣١ ــ ٢٣٥ .

واذا استثنينا رواية الاعشى والبجلى ـ فقد انشـــدوا اشعارا اخرى لغيرهم او اظهـــروا اعجابا بغيرهم من الشعراء . وقد ذكر ابليس انه املى على جرير قصيدته . ولقد اختار الهمـــذانى لابليس ان يكون ملهما لجـرير الذى كان يعترف به صـــــاحبا لالهامه وكان يسميه « ابليس الاباليس » (١) . وذكر ايضا انه اعجب بشعر ابى نواس وان لم يذكر انه املى عليه قصيدته .

وكما اتفق معظم الرواة فى تحديد صورة الجنى فقد اتفقوا على صورة الجو الذى حدثت فيه احداث الرواية والمكان الـــذى التقى فيه الرواة بالجن . وقد اجتمعت الروايات التى ذكرت على ان مكانهم الصحراء ، اما فى الارض المنبسطة او الجبل فى مكان موحش لا انيس فيه ، قفر من كل شيء الا الظباء . وهذا تكميل لصورة الجو الذى يعيشون فيه ، فقد عرفت الظباء بانهـــــا مطـايا الجن (٢) . غير ان الصورة قد تغيرت عنـــد الهمذانى . وكان مرد ذلك ان جميع هؤلاء الرواة كانوا ممن عرفوا الصحراء . وكان ذلك متفقا مع اعتقادهم ان الخرائب والقفار من بين مساكنهم (٣) . اما الهمذانى فهو ابن الخصب وابن المدينة فكان من السهل عليه ان يختار مكانا آخر للجن غير الصحراء . وان كان ارتباط الجن بالوحشة والبعد عن العمران ما زال قائما . ولقد وجد عيسى ابليسا جالسا وحوله انهار مصردة ، واشجار

---

(١) الاصبهانى . المرجع السابق .

(٢) الجاحظ . المرجع السابق . ص ٤١٧ ، ٤٧٠ ، ٤٧٦ . والشبلى آكام المرجان فى احكام الجان . القاهرة : مطبعة السعادة . سنة ١٣٢٦ هـ ص ١٢٠ .

(٣) الجاحظ . المرجع السابق .

باسقة ، واثمار يانعة ، وازهار منورة ، وانمـــــــاط مبسوطة (١) ، ولكنه كان وحيدا بين هذه الخضرة حتى ان عيسى بن هشام « راعه منه ما يروع الوحيد من مثله » (٢) .

كان ذلك يتلاءم مع الحياة التي كان الهمذاني يحياها ، والجو الذي عاش فيه والعـــالم الذي اختلفت صورته كثيرا عن عالم الصحراء .

— ٣ —

واذا كان الهمذاني قد استمد موضوعه من التراث الشـــــــعبي والادبي ، فان عمله يعد نقلة بين الادب الشفوي والادب الفصيح بما يجعل هذا العمل ومثله من الاعمال جسرا يقرب المسافة بين الادبين .

كان الاطار الذي اعتمد عليه الهمذاني مقاربا للادب الشفوي ومرتبطا به ارتباطا كبيرا . والفارق بين عمل الهمذاني وبين هذه الروايات هو وظيفة العمل الفني فالروايات التي اعتمد عليها الهمذاني هي روايات شفوية مدونة ولم يضف اليها المدونون عن قصـــد تعديلا في البنية او اللغة ، وحافظوا على شكلها الاول وهو المروي شفويا ، فالرواية حكاية بسيطة تهدف الى ان تروي حادثة لها غرابتها مرتبطة بالاعتقادات الشعبية للجمهور المستمع للرواية . ولم تكن تهدف الى الاهتمام باللغـــة كما كان اداؤها الفني بسيطا لا تعقيـــد فيه بينما عقد الهمذاني اللغـــــة والاداء القصصي للمقامة . لقد عقـــد

---

(١) الهمذاني - المصدر السابق - ص ١٩٠ .

(٢) المصدر نفسه .

الموقف الذى صور فيه لقـــاء عيسى ابن هشام بالفتى الشاعر فى المقامة الاسودية . وتبدى الهدف من هذا التعقيد ان يجعل الابيات المركز الذى تدور عليه الاحداث ثم ينتقل منه الى المديح فيمتدح الاسود بن قنان ، فهى مقامة فى المدح ركبت فيها الاحداث بشكل قصصى .

وفى المقامة الابليسية مهد لموقف التعرف بين عيسى ابن هشام وابليس بلغز يصف فيه الرجل الذى سيهديه الى ابله ويصف المسرجة بشكل يظهر معاناة الفكر للكاتب والقارىء ، فالهمذانى كان يكتب لجمهور محـــــدود على قدر كبير من الثقافة كما انه كان يهتم بشكل واضح بابراز قدرته اللغوية لهذا الجمهور : « فاذا لقيت فى طريقك رجلا معه نحى صغير يدور فى الدور ، حـول القدور ، يزهى بحليته ويباهى بلحيته . فقل له دلنى على حوت مصرود فى بعض البحور ، مخطف الخصور ، يلدغ كالزنبور . ويعتم بالنور . أبوه حجر وامه ذكر . ورأسه ذهب . واســـمه لهب . وباقيه ذنب . له فى الملبوس عمل السوس . وهو فى البيت آفة الزيت . شريب لا ينقع . اكول لا يشبع . بذول لا يمنع . ينمى الى الصـــــعود . ولا ينقص ماله من جود . يسوؤك ما يسره . وينفعك ما يضره (1) » . ولقد جمع الهمذانى فى هذا الوصف الكثير من المحسنات البديعية ، كمـــا غلب عليه السجع والجناس والطباق . ولم تصدر الفاظه بتلقائية كما كانت تصدر الفـاظ الروايات الشفوية ، فهو مهتم بجرس الكلمات اهتماما لا يقل عن اهتمامه بالموضوع بل ان الموضوع هنا بدا تابعا للفظ ، حتى

(1) الهمذانى ، المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

ليبدو استخدام الرجل الذى يحمل النحى او المدبة لا دور له الا ليكمل صورة اللغز الذى كان هدفا فى حد ذاته ، فالهمذانى كان يريد أن يثبت وجوده بابراز هذه القدرة اللغوية بين معاصريه من الادباء .

وتبعا لاختلاف الوظيفة بين القصة الشفوية وقصة المقامة فقد تغاير دور الشخصيات تغايرا كبيرا . ففى القصص التى تناولت الجن وعلاقتهم بالشعراء شخصيتان اساسيتان . شخصية الراوى وشخصية الجنى . وهما يقفان متواجهين ، الانسى بفضوله ، والجنى بعبقريته . وقد تضاف شخصية أخرى ، وهى شخصية الجارية ابنة الجنى التى تنشد الشعر كما حدث فى رواية الاعشى ، فقد أبرز فيها فتاتين ، وهما سمية وهرير ، فانشدته سمية « رحلت سمية غدوة اجمالها » ، فلما اتمت القصيدة انصرفت ، ثم طلب الجنى من ابنته هريرة أن تنشد « ودع هريرة ان الركب مرتحل » (١) . وفى رواية الزرودى أنشد ابنة الجنى قصيدة هادر صاحب الذبيانى « نأت بسعاد عنك نوى شطون » (٢) .

ودور المنشدة هنا له جانبان احدهما انها تقف شاهد اثبات على صدق الجنى . وثانيهما انها تعطى صورة المفهوم العام للاعتقاد فى دور الجن فى عملية الخلق الفنى ومدى اهتمامها بالشعر والشعراء .

استغنى الهمذانى عن معظم هذه الشخصيات باستثناء

---

(١) الاصبهانى ، المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ١٥٦ .
(٢) القرشى ، المرجع السابق ، ص ٤٩ .

الراوية . فهو في كل من المقامتين اعتمد على أربع شخصيات شخصيتان تكررتا في هاتين المقامتين كما تكررتا في معظم مقاماته الاخرى ، وهما شخصية الراوي عيسى بن هشام وشخصية أخرى مكملة له وهي شخصية أبي الفتح الاسكندري . وهما في الحقيقة مرتبطتان ارتباطا كبيرا حتى يكادان أن يكونا شخصية واحدة . فعيسى بن هشام يقص ويمهد لاحداث المقامة ، فهو في المقامتين كان يواجه مشكلة . كانت المشكلة في المقامة الاسودية اتهامه بمال أصابه (١) ،وفي المقامة الابليسية يبحث عن ابله الضالة (٢) ، والرواية تبدأ مباشرة بهذه المشكلة ، ينتقل بعدها الى محاولة حل هذه المشكلة وحين تحل المشكلة يلتقي بالاسكندري . والاسكندري هنا يعكس وجهة نظر عيسى بن هشام وان أبدى تعجبه من موقف الاسكندري ، ففي المقامة الاسودية يقول عيسى للاسكندري « أي طرق الكرامة لم تسلكها » (٣) . بينما يقول له في المقامة الابليسية « شحذت على ابليس انك لشحاذ » (٤) . وهو يختم بهذه العبارة مقامته . ومحاولة انطبق هذا القول على عيسى فان كلمته للاسكندري في المقامة الاسودية وكذلك كلمته له في المقامة الابليسية تنطبق على عيسى . وهذا ينعكس على معظم المقامات فحين يكون بطل الاحداث عيسى فانه يتصرف تماما كما يتصرف الاسكندري كما في المقامة البغدادية (٥) . التي

---

(١) الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٣ — ٩٧ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٦٣ — ٩٧ .

لم يستخدم فيها الاسكندرى وكان عيسى صورة اخرى له . وحين يكون بطل القصة الاسكندرى فان دور عيسى هو التعليق على الحدث : وحين يشتركان ويكون عيسى هو بطل القصة يضع تهمة الكرائة على الاسكندرى دون مبرر موضوعى واضح غير تكوين اطار للاحداث بشكل يجعل القارىء شغوفا لمعرفة دور الشخصية الثانوية فى المقامة .

وشخصية عيسى بن هشام هى شخصية الراوى الذى ينظر الى الاحداث ثم يرويها بعد ذلك غير انه لا يرويها دون تدخل منه فهو صانع الحدث . ورؤيته للاشياء هى التى تدفع الى تطويره ، فانه بعد ان يعرض للمشكلة التى تواجهه يتحرك حركة جسمانية بمعنى انه لا يقف فى مكانه ، ففى المقامة الاسودية بعد ان يتحرك عيسى الحركة الاولى يلتقى بالفتى الشاعر ، وبعد ان يستمع لانشاده يعجب من قدرته على رواية شعر « يقتضيه حاله ولا يقتضيه ارتجاله » ثم يمتد الحوار بينهما حتى يلتقى بالفتاة . ولقاؤه بالفتى يجعله يعرض لموضوع الجنى والخلق الفنى اما لقاؤه بالفتاة فيؤدى لان يعرض لمديح الاسود بن قنان ثم تكمل الفتاة صورة المديح بان تشير على الفتى ان يأخذه الى بيت الاسود .

لم يتغير دور عيسى عن هذا فى المقامة الابليسية فهو بعد المشكلة التى واجهته بضياع ابله يأخذ فى الحركة ، ويلتقى بعدها بابليس ثم يدور بينهما حوار ويتناشدان الشعر . وفيه يعبر عيسى عن عدم ارتياحه للشيخ الذى ينتحل الشعر ويطرب لشعر الفويسق العيار ابى نواس

وهو بهذا النقد يخسر ابليس الذى كان يمكن أن يعيش معه فى رخاء .

يترك عيسى ابليس وبعد هذه الحركة الجسمانية يجد ابله .

فى كلتا المقامتين تظهر شخصية الاسكندرى فى نهاية الاحداث ويتحدد لكل منهمـــا دور يبدا بعيسى وينتهى بالاســـكندرى . فعيسى هو الراوى وهو بادىء الخير والممهد للاحداث بينما تبنى على شـخصية ابى الفتح الاسكندرى نهاية المقامة . وهو فى كلتا المقامتين يمثـل الكدية خير تمثيل او على الاقل هو المتهم من عيسى بن هشام بانه ممثل الكدية خير تمثيل ، فهو قد سلك جميع طرقها . وجده عيسى بن هشام فى نهاية المقامة الاسودية فى بيت الاسود ن قنان ، وبين ضيوفه ، كما وجده بعد ان وجد ابله فى المقامة الابليسية ، واذ به يجده قد شحذ حتى على ابليس ، فلىس هناك طريق سلكه عيسى الا وسلكه الاسكندرى ، فهو ممثل الجانب الهزلى فى المقامة مما جعلها حية واخرجها عن الجفاف فكلتا المقامين تنتهى بطرفة يقولها عيسى بن هشام يعلق فيها على صنيعه . وهذا ايضا متواتر فى معظم المقامات .

اما الشخصيات الاخرى فى المقامة فكانت لها صفة واحدة وهى انها شخصيات حدث . لا يبرز لها موقف او تطـور نفسى ، فهى شخصيات جاهزة كان دورها ان تعرض الحدث الذى اراده القاص . وتعتمد المقامتان على ابراز شخصيتين يتحدث عنهما الكاتب ، ففى المقامة الاسودية كانت الشخصيتان هما شخصيتى الطفـــل والفتاة الشاعرة .

القى الهمذاني الضوء على الطفل اكثر من القـــائه الضوء على الفتاة . فقد تحادث مع الطفل وكشف عن نبوغه الذى رده الى قدرة الجن ، ثم استخدمه عيسى بن هشام بعد ذلك ليحرك الاحداث نحو الفتاة ومديح الاسود ابن قنان ، فطلب منه مكانا يأوى اليه وطعاما ، فدله على الفتاة . ولم يبرز من الفتاة اى جانب شخصى فهـو يقدم صورة عامة لفتاة كريمة ابنة رجل كريم . ذكية شاعرة . ولم تظهر هاتان الشخصيتان الا بشكل مسطح لا عمق فيه ، وفيما يبدو لم يكن الهمذاني يريد ان يعمق هاتين الشخصيتين ويظهر تكوينهما النفسي بقدر ما كان يجعلهما طريقا لتصعيد احداث المقـــامة والوصول الى هدفه من مديح الاسود بن قنان . وينتهى الحدث بلقائه بأبى الفتح الاسكندرى ، وكأنما اراد ان يجعل من ذلك مفاجأة لقارئه . ولكنها مفاجأة تخدم صورة الاسود بن قنان فتبرزه كرجل كريم .

لم يخرج الهمذاني عن هذا الاطار فى تقديمه لشخصيتى ابليس والرجل حامل المذبة فى المقـــامة الابليسية فقد قدم شـــخصية ابليس لتكون جزءا من البناء القصصى للمقامة فهو يهدى عيسى الى حامل المذبة ليربط احدهما بالآخر .

تظهر صورة ابليس هنا ايضا مسطحة بلا اعمـــاق لا تبدو منه غير صورة حسية ، فهو يبدو جالسا جلسة الرجل الوقور يتناشد الشعر مع عيسى بن هشام . ويطرب حتى يخرج عن وقاره حين يستمع لشعر ابى نواس ، فالهمذاني لا يهتم من صورة ابليس بغير هذا الجانب المألوف فى القصص الشعبى .

اما الشخصية الثانية وهى شخصية الرجـل الذى دله على ابله فلم يظهر شيء يميزها فى المقامة سوى المدية . وكان ظهورها ايذانا بانتهاء احداث المقامة . فهى طريقة لان يجد ابله ، ويلتقى بعد ذلك بالاسكندرى لتختم المقامة بهذا اللقاء .

ولقد كانت المقـــامة اول عمل نثرى يتناول هـذا الموضوع فتح به الطـــريق لظهور عمل ادبى كبير وهو رسـالة التوابع والزوابع لابن شهيد .

الفصل الثاني :

التوابع والزوابع لابن شهيد

يعد ابو عامر احمد بن عبد الملك بن احمد الملقب بـ « ابن شهيد » من اهم الكتاب الذين استخدموا هذا الموضوع فى اعمالهم الادبية ، ولقد اشتهر ابن شهيد بالشعر والنثر ولكن اهم اعماله هو « التوابع والزوابع » الذى استخدم فيه موضوع الجن وارتباطها بالابداع الادبى . وما بقى من اعمال ابن شهيد الشعرية والنثرية لا يصل الى مستوى التوابع والزوابع ، فهذا العمل لا يعد اهم ما خلف ابن شهيد من اعمال ادبية فحسب وانما يعد ايضا من اهم الاعمال الادبية التى بقيت لنا من التراث القديم .

ولقد عرف الادب الاندلسى شعراء وكتابا تفوقوا على ابن شهيد ولكنهم لم ينالوا الاهتمام الذى ناله من المعاصرين ، وذلك بفضل رسالته التوابع والزوابع . وترجع قيمة هذا العمل الى انه دفاع شاعر وكاتب عن نفسه امام معاصريه من ابناء وطنه . فهذا الحس الانسانى هو الذى ابقى الرسالة حية لتصبح مادة

خصبة للدراسة ، وقد تناولها أكثر من دارس في العصر الحديث (١) .

ولم يصل هذا العمل كاملا فقـــــد أورده ابن بسام

---

(١) ابن شهيد الاندلسي · رسالة التوابع والزوابع · تحقيق وتقديم بطرس البستاني · بيروت : مكتبة صادر ، سنة ١٩٥١ ·

بلا ، شارل · ابن شهيد الاندلسي ، حياته وآثاره · عمان : منشورات الجامعة الاردنية ، سنة ١٩٦٥ · وذكي يعقوب · ديوان ابن شـــهيد · القاهرة : دار الكاتب العربي ، سنة ١٩٦٩ قد طبع الديوان بمقدمة ترجمها محمد قدال عن

Dickie, James, M.A., Ibn Shuhayd. Al-Andalus. 1964. Vol. XXIX, p.p. 243 - 307.

وضيف ، أحمد · بلاغة العرب في الاندلس · القاهرة : مطبعة مصر ، سنة ١٩٢٤ · ص ٤٣ ــ ٥٩ · وضيف ، شوقي · الفن ومذاهبه في النثر العربي · القاهرة : دار المعارف ، سنة ١٩٦٥ · ص ٣١٩ ــ ٣٢٤ · وهيكل ، أحمد · الادب الاندلسي · القاهر : دار المعارف ، سنة ١٩٧٩ · ص ٣٧٧ ــ ٣٩٤ ·

وعباس ، احسان · تاريخ الادب الاندلسي · بيروت : دار الثقافة ، سنة ١٩٧٥ ص ١٤٢ ــ ١٤٥ ، ص ٢٧٠ ــ ٣٠٢ ، ص ٣٢٤ ــ ٣٤٠ ·

والداية ، محمد رضوان · تاريخ النقد الادبي في الاندلس · بيروت : دار الانوار ، سنة ١٩٦٨ · ص ٢٩٣ ــ ٣٠٦ ·

وخفاجي ، عبد المنعم · قصة الادب في الاندلس · بيروت : مكتبة المعارف ، سنة ١٩٦٢ · جـ ١ · ص ٢٩٨ ــ ٣٠٥ ·

وتممة ، نهاد توفيق · الجن في الادب العربي · بيروت : المؤلف ، سنة ١٩٦٠ ، ص ١٨٤ ــ ١٩١ ·

وحميدة ، عبد الرازق · شياطين الشعراء · بيروت : مكتبة الانجلو المصرية ، سنة ١٩٥٦ · ص ٢٣٨ ــ ٢٤٢ ·

مختصرا ، اذ حذف منه ما رآه اطنابا واسهابا (١) وقد عنونها بما يوضح هذا الاختصار « فصول من رسالة سماها بالتوابع والزوابع » (٢) . ومع ذلك فهذا العمل بشكله الحالي يبدو متكاملا . ولقد اعتنى بطرس البستاني بطبعها مع دراسة لها وللمؤلف . وقسمها الى خمسة اجزاء ، مدخل واربعة فصول ، الاول : توابع الشعراء ، والثاني : توابع الكتاب ، والثالث :نقادالجن، والرابع : حيوان الجن . وباستثناء عنوان الفصل الرابع فان التقسيم مقبول وستعتمد هذه الدراسة عليه مع تغيير في عنوانه . اذ ان هذا الفصل ينقسم الى قسمين : شعراء الحمير والاوزة الادبية ، وبذلك يصبح تغيير اسم الفصل الى حيوان وطيور الجن اشمل .

— ١ —

ادت رسالة التوابع والزوابع وظيفة هامة لابن شهيد وهي محاولة الدفاع عن نفسه وعن اعماله الشعرية والنثرية أمام معاصريه . ولقد ظهر هذا الدفاع مباشرا في أكثر من موضع في الرسالة . وقد يكون هذا الدفاع مقنعا لمعاصريه او غير معاصريه من قرائه الا ان الدفاع الحقيقي الذي دافع به ابن شهيد عن نفسه كان الرسالة نفسها . فان قارئه لم يعد يهتم بما كان يهتم به ابن شهيد من محاولة وضع نثره وشعره مساويا لكبار

(١) ابن بسام الشنتريني ، ابوالحسن علي . الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة . بيروت : دار الثقافة ، سنة ١٩٧٥ . القسم الاول ـ المجلد الاول ، ص ٢٧٨ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٤٥ .

الكتاب والشعراء من معاصريه او الارتفاع به درجات عنهم ، وما اصبح يهم القارىء هو العمل ذاته . فان دفاع ابن شهيد عن نفسه قد تحول الى ادوات كونت العمل الفنى ، وساهمت فى نجاحه الى حد كبير ، ولا سيما ان هذا العمل قد كتب من خلال عنصرين مرتبطين بالكاتب :

العنصر الاول : هو نظرة الكاتب داخل ذاته مدركا بوعى لاحساسه بالتفوق والتفرد على معاصريه .

والعنصر الثانى : هو الوعى بالجماعة والمجتمع المحيط به ، لذا فان العمل يكشف عن رؤية ابن شهيد لنفسه من خلال علاقته بالجماعة والمجتمع . وقد عبر ذلك فى كثير من شعره الذى ضمنه الرسالة .

ولم ار مثلى ما له من معاصر
ولا كمضائى ما له من مضافر (١)

ولقد كان الفصل الاول « توابع الشعراء » مبنيا على محاولته كشف مقدرته الشعرية بشعر يكاد يكون معارضة الشعراء القدماء . وهو قد حدد شكل المعارضة من خلال نصيحة شيخ من الجن « يعلم بنيا له صناعة الشعر وهو يقول له : اذااعتمدت معنى سبقك اليه غيرك فأحسن تركيبه وارق حاشيته ، فاضرب عنه جملة . وان لم يكن بد ففى غير العروض التى تقدم اليها ذلك المحسن لتنشط طبيعتك وتقوى منتك » (٢) .

وتبعا لذلك اتجه الكاتب الى عقد المقارنات فى هذا

---

(١) ابن شهيد الاندلسى . المرجع السابق . ص ١٦٣ .
(٢) المصدر نفسه . ص ١٨٤ .

الفصل بينه وبين معاصريه واكتفى بمعارضته للقدماء ثم اخذ فى الحكم على نفسه من خلالهم . فجعل اصحاب امرىء القيس ، وطرفة بن العبد وقيس بن الخطيم ، وابو تمام والبحترى وابو نواس وابو الطيب المتنبى يجيزونه ، وتتفاوت اجازة الشعراء له على حسب رؤيته لهم ، فصاحب امرىء القيس يجيزه شاعرا ، وكذلك صاحبا طرفة وقيس بن الخطيم ، بينما يقف منه صاحب ابى نواس مشدوها ، وهو يبدو أكثر الشعراء اعجابا به ، فهو يقول له بعد أن انتهى من انشاد قصيدة من مجونياته : « لله أنت ! وان كان طبعك مخترعا منك (١) ثم يعلق على احد ابياته : « هذا والله شىء لم نلهمه نحن » (٢) ثم اجازه .

وهنا يتحول ابن شهيد من مدافع عن نفسه الى ذواقة للشعر يحدد موقفه من الشعراء . فهو فى لقائه بهؤلاء الشعراء يكشف عن نوعية الشعراء الذين يعجب بهم ، ويحاول ان يترسم خطاهم ، وان يجعل مجونياته مقابل ، مجونيات أبى نواس ، بينما يرى نفسه متفوقا على البحترى ، فيقف منه صاحبه أبو الطبع موقف الحاسد ، يجيزه على الرغم منه . وتظهر غيرته حين ينشده ابن شهيد قصيدته : « هذه دار زينب والرباب » التى يعارض فيها قصيدة البحترى « ما على الركب من وقوف الركاب » (٣) وحين أكمل ابن شهيد القصيدة « فكأنما غشى وجه أبى الطبع قطعة من الليل . وكر راجعا

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٠ .

(٣) ابن شهيد المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

الى ناورده دون ان يسلم فصاح به زهير : اجزته ؟ قال : اجزته لا بورك فيك من زائر ولا فى صاحبك ابى عامر » (١) . وهو لم يشر الى التهم التى وجهها اليه نقاده المعاصرون من انه يسرق من اعمال غيره ، الا فى قول ابى الطيب « بلغنى انه ياخذ عن غيره » (٢) ، فكان رده اعترافا بهذا ودفاعا ايضا « قلت للضرورة الدافعة والا فالقريحة غير صادعة والشفرة غير قاطعة » (٣) . اما ابو تمام فقد حدد موقفـــــه منه من خلال مقارنته بمعاصريه « وما انت الا محسن على اساءة زمانك » (٤) .

بعد ذلك انتقل ابن شهيد فى الفصل الثانى « توابع الكتاب » والفصل الثالث « نقاد الجن » الى التعرض الى اساءة اهل زمانه للأدب ، فهو ياخذ فى نقـد الكتاب من معاصريه بأن كلامهم « ليس لسيبويه فيه عمل ولا للفراهيدى اليه طريق ولا للبيان عليه سمة ، وانما هى لكنة اعجمية يؤدون بها المعانى تادية المجوس للنبط »(٥). وحاول أن يدافع عن استخدامه للسجع باداتة مجتمعه كله ، فان صاحب عبد الحميد حين وجه اليه نقدا بانه مغرى بالسجع ، فكلامه بهذا يعد شعرا لا نثرا ، يعلل ابن شهيد استخدامه له : « عدمت ببلدى فرسان الكلام، وذهبت بغباوة اهل الزمان وبالحرا أن احركهم بالازدواج، ولو فرشت للكلام منهم طولقا وتحـــــركت لهم حركة مشولم ، لكان ارفع لى عندهم واولج فى نفوسهم » (٦).

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٤١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥١ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٦ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٥٨ ، ١٥٦ .

ولقد كان هذا الدفاع واهيـــا امام ما وجهه اليه معاصروه من نقد فهو متهم بانه لم ياخذ العلم من العلماء، وانه ليس على حظ كبير من الثقافة ، وهو ان كان يتهم معاصريه بأن كلامهم ليس لسيبويه فيه عمل ولا طريق للخليل اليه ، فانه يعود بعـد ذلك ليسخر من كتاب الخليل بقوله « انه عندى في زنبيل » (١) . أما كتـــاب سيبويه « فقد خريت الهرة عندى عليه » ، وعلى شرح ابن درستويه » (٢) فهو محتاج يستخدم الفكرة ونقيضها للدفاع عن نفسه ، فهو يعود مرة اخرى ويرفض فكرة « احسان النحو والغريب » (٣) . وربما كان ما يقصده أن يكون ذلك هدفا في حد ذاته .

وكز ابن شهيد في دفاعه عن نفسه هجـومه على معاصره ابى القاسم الافليلي الذى كان احد نقاد شعره ونثره ، فقد كان يتسقط اخطاءه ويذيعها بين تلاميذه . ولم يجد ابن شهيد لذلك سببا الا حسد نقاده لتفوقه ، وهنا أصبح الحسـد مثيرا (أ) والنقد استجابة لهـذا المثير (ب) ، فالناقد هنا متحرك بدافع الحسد والضحية هنا الشعر (جـ) .

(أ) الحسـد ــ الناقد ــ (ب) المحسود ــ الشاعر (جـ) الضحية ــ الشعر .

فالحسـد هنا مواز للناقد وهو بدوره مضاد للمحسود الموازى للشاعر والضحية هى الشعر فيتقابل الشاعر مع الناقد تقابل المحسود للحاسد .

(١) المصدر نفسه . ص ١٦٦ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه . ص ٢٠٨ .

الشاعر — المحسود — الناقد — الحاسد .

ولقد سجل الشاعر موقف حساده منه فى احدى قصائده المذكورة فى رسالته « التوابع والزوابع » .

وبلغت اقواما تجيش صدورهم
على وانى منهم فارغ الصدر

اصاخوا الى قولى فاسمعت معجزا
وغاصوا على سرى فاعياهم امرى

فقال فريق : ليس ذا الشعر شعره
وقال فريق : ايمن الله ما ندرى (1)

ولقد كان موقف حاسديه هو المثير الذى ادى الى استجابة وهى رسالة التوابع والزوابع . فالشاعر هنا متحرك من خلال هذا المثير .

(ا) الحاسد — دافع موجه لعملية الخلق الفنى وهى (ب) الشاعر خالق — (جـ) الاستجابة التوابع والزوابع .

لقد كان سبب انشاء هذه الرسالة كلمة القاها صديق من حساده « بان به شيطانا يهديه ، وشيطانا يأتيه . واقسم ان له تابعة تنجده وزابعة تؤيده » (2) فهذا القول لم يكن اكثر من سخرية من هذا الصديق . ولقد ذكر اسم أبى بكر فى الرسالة مرتين . الاولى وهو يوجه اليه الرسالة « لله ابا بكر ظن رميته فاصميت وحدس املته فما أشويت ، أبديت بها وجه الجلية ، وكشفت عن غرة الحقيقة .. » (3) . والثانية وهو يعدد حساده .

(1) المصدر نفسه ، ص ٦٦٧ .
(2) المصدر السابق ، ص ١١٨ .
(3) المصدر نفسه ، ص ٢١ .

وقد اختلف فى شخصية ابى بكر هذا . فبطرس البستانى يذكر انه الفقيه عبد الوهاب ابن حزم (١) . بينما يراه شارل بلا ابا بكر بن حزم شقيق الشاعر ابى محمد بن حزم (٢) . ويحدده احمد هيكل بالكاتب المعروف باشكمياط (٣) . ويتابعه فى ذلك رضوان الداية (٤) . بينما يتبع احسان عباس (٥) الحميدى (٦) فى تحديد شخصية ابى بكر بن حزم بانه ابو بكر واسمه يحيى ولا يمت لاى من ابى بكر بن حزم او عبد الوهاب ابن حزم بصلة . والحقيقة ان تحديد الحميدى لشخصية ابى بكر قد حسم المسألة ما لم يظهر دليل آخر اكثر ثقة منه يرفض هذا التحديد ، وعلى اية حال فان الاسماء التى ذكرها بن شهيد لم يكن هدفه منها تحديد شخصية بعينها باستثناء شخصية ابى القاسم الافليلى . فبعض هذه الشخصيات غير المسماه كان تصوير الكاتب لها يجعلها واضحة لاهل العلم فى قرطبة ، وبعضها كان رموزا لمجموعة من حاسديه ، ويبدو انهم كثير ، كما انهم اصحاب قوة ونفوذ يسجل صاحب المطمح آثارها عليه « وديت الى ابى عامر بن شهيد ايام العلويين عقارب ، برئت منها اباعد واقارب واجهه بها صرف

(١) المصدر نفسه ، ص ١١٧ .

(٢) بلا ، شارل ، المرجع السابق ، ص ٣٥ ، ٥٥ .

(٣) هيكل ، احمد ، المرجع السابق ، ص ٢٨١ .

(٤) رضوان الداية ، المرجع السابق ، ص ٣٠٢ .

(٥) عباس ، احسان ، المرجع السابق ، ص ٢٨٤ ، وذكى = زعم ان ابا بكر هذا هو اشكمياط ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٦) الحميدى ، ابو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله ، جذوة المقتبس ، القاهرة : مكتب نشر الثقافة الاسلامية ، سنة ١٩٧٥ ، ص ٣٥١ .

قطوب ، وانبرت اليه منها خطوب ، نبالهـا جنبه عن المضجع ، وبقى بها ليال يارق ولا يهجع الى ان اعلقت فى الاعتقال آماله ، وعلقته فى عقال أذهب ماله ، فأقام مرتهنا ، ولقى وهنا » (١) . وقد وصل موقف حساده منه ذروته بتجـــاحهم فى أن يزج به فى الســجن ايام الحموديين (٢) ، وسجل ذلك فى قصيدته الجحدرية التى كتبها فى سجنه وذكرها فى رسالته :

قريب بمحتل الهوان بعيد (٣)

كما أنها ألهمته عملا مدبرا تدبيرا فنيا محكما وهى رسالته التوابع والزوابع .

حين ذكر المؤلف حساده جمعهم فى ثلاثة اشـخاص وهم « ابو محمد وابو القاسم وابو بكر » . وقد نال ابو القاسم الافليلى أكثر سهام نقده وذكر حقائق خاصة بعلاقته به بينما لم يذكر شيئا كثيرا عن ابى محمد وابى بكر . وكل ما ذكره ان ابا محمد اغتابه عنـد الخليفة الاموى المستعين سليمان بن الحـكم « وساعدته زرافة استهواها من الحاسدين » (٤) أما ابو بكر فقد سخر منه فى قـــوله « أتصر . واقتصر على قوله له تابعـــة تؤيده » (٥) ، ولم يحدد لاى منهما تابعا ممهدا بذلك أنهما لن يكونا موضوعا فى الرســـالة بينما حدد لابى

---

(١) ابن خاقان ، القلائد ، مطبع الانفس ، القسطنطينية : سنة ١٣٠٢ هـ ص ٢٠ .

(٢) لم تحدد المصادر اسم الحاكم الذى سجن ابن شهيد هل هو على ابن حمود (٤٠٧ ــ ٤٠٨) أم اخوه القاسم (٤٠٨ ــ ٤١٢) وان كان من المرجح أن يكون ذلك فى بداية حكم على أى سنة ٤٠٧ هـ .

(٣) ابن شهيد ، المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

القاسم الافليلى صاحبا من الجن ، وفى الوقت نفسه ذكر تابعين لم يسم صاحبيهما وهما فرعون بن الجون والاوزة ، وترك لخيال القارىء ان يقوم بعملية التعرف عليهما من بين حساده وهم كثيرون . وقد تعدى نيلهم من شعره ونثره الى النيل من أخلاقه .

ولقد نال من حساده كثيرا باستخدامه لتوابع الجن وشمل فى نقده لهم رؤيته لنفسه ولمجتمعه . ذكر على لسان صاحبى الجاحظ وعبد الحميد موقف مجتمعه كله منه « وقد بلغنا انك لا تجازى فى ابناء جنسك ولم يمل من الطعن عليك ، والاعتراض لك » (١) وهذه العبارة توضح أن ابن شهيد بشعره ونثره وشخصه كان موضوعا للمحاكمة من أهل قرطبة . وقد دافع ابن شهيد عن نفسه بأن التهم التى وجهت اليه مصدرها القول لا الفعل :

فان طال ذكرى بالمجون فاننى
شقى بمنظوم الكلام سعيد (٢)

ويبدو أن هذا الدفاع لم يتقبل ولم يغير رؤية مجتمعه له ، وقد سجل المؤرخون رؤيتهم لاخلاقه فذكر ابن حيان فى وصفه بانه « رجل غلبت عليه البطالة فلم يحفل فى آثارها بضياع دين ، ولا مرءوة ، فحط فى هواه شديدا حتى أسقط شرفه ووهم نفسه راضيا فى ذلك بما يلذه ، فلم يقصر عن معصية ولا ارتكاب قبيحة » (٣) .

---

(١) ابن شهيد . المصدر نفسه . ص ١٦٦ .

(٢) المصدر نفسه . ص ١٤٨ .

(٣) منقولا عن . ابن بسام . المرجع السابق . ص ١٩٣ . والقرشى . المرجع السابق . ص ١٧٩ .

ولم تتوقف هذه التهم عند القدماء وانمـــا انتقلت الى الباحثين المحدثين .

فاخرجه يعقوب زكى عن دائرة الرجال وعده من الجنس الثالث (١) . ولم يعتن هذا الباحث الذى جمع شعره بالوقوف عند قصيدة لابن شهيد يرثى فيها ابنة له ورد ذكرها في الرسالة :

يا ايهـــا المعتـــد فى اهل النهى
لا تذب اثر فقيد ولهـــــــا (٢)

لذا فكان طبيعيا أن تكون رسالته في الدفاع عن نفسه تحمل سخطا على مجتمع قرطبة والسخرية منه فادائه فقد بارت تجـــــارة الادب ، وانعكس ذلك على الموقف الاخلاقى للافراد ، فأصبح استخدام الســجع لونا من الوان النفاق الاجتمــاعى يستخدمه كل من يريد ابراز تقدمه فى مجتمعه ، فيقول له صاحب الجاحظ « ارمهم يا هذا بسجع الكهان فعسى ان ينفعك عندهم ، ويطير لك ذكرا فيهم » (٣) ، ويكمل ابن شهيد رأيه فى علاقته بمجتمعه من خلال صاحب الجاحظ بأنه حتى مع صنيعه هذا فلن يكون الا «ثقيل الوطـــأة عليهم كريه المجيء اليهم » (٤) . فالمشكلة بينه وبين مجتمعه مشـــــكلة اخلاقية ، فلابن شهيد مجونه الذى يقره مرة وينكره اخرى ، والمجتمـــع يؤكد أنه ماجن ويرفض مجونه . والمجتمع فى ذلك له نفاقه الذى يتعارض مع موقفه من

---

(١) يعقوب زكى . المرجع السابق . ص ٦٠ .
(٢) ابن شهيد . المصدر السابق . ص ١٤٧ .
(٣) المصدر نفسه . ص ١٥٩ .
(٤) المصدر نفسه . ص ١٦٠ .

ابن شهيد لقد دفعت قرطبة رجالا الى صفوف الحكم بقدراتهم على النفاق والكذب . لذا فان ابن شهيد يمعن فى السخرية منهم فيجعل لهم مكانا فى رسالته وكانت الشخصية الممثلة لهم هى بغلة ابى عيسى التى جعل لها مكانا فى عالم الادب .

التقى ابن شهيد بحيوان الجن ، فوجد بغلة تتحاور مع حمير الجن . وحين اماطت لثامهـا فاذا هى بغلة صاحبة ابى عيسى . سألته البغلة « عمـا فعل الاحبة بعدها . وهل هم على العهد ؟ » (١) كان هذا السؤال مدخله السخرية — فى اجابته لها — من قرطبة ورجالها : « شب الغلمان ، وشاخ الفتيان . وتنكرت الخلان ، ومن اخوانك من بلغ الامارة وانتهى الى الوزارة » (٢) . وقد عبر بهذه الكلمات عن المرارة التى اصابته لما آلت اليه احوال قرطبة .

عاش ابن شـهيد حياته فى قرطبة وعقـد له على الشرطة وهو ابن ثمان سنوات (٣) وان كان هذا العقد صوريا الا انه يمثل دخول ابن شهيد الحياة العامة فى مرحلة مبكرة من عمره . كما يمثل المكانة التى كانت تتمتع بها اسرته ، كان ابن شهيد من ابناء الارستقراطية العربية فى قرطبة ، وارتبط تاريخها بالدولة الامـوية الاندلسية ارتباطا وثيقا فقد خدمت الدولة باخلاص كبير . وقامت بدور هام فى الحياة السياسية والثقافية لقرطبة ، ولم يمر ذلك دون تأثير على الشاعر ، فلقد

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٠٥ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) ابن بسام ، المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

ادرك بوعي شديد هذا التراث العريض وكان له تأثيره الكبير عليه . والناظر الى سلسلة نسبه يدرك المكانة التي كانت لابن شهيد ولاسرته في قرطبة ، فهو ابو عامر احمد بن عبد الملك بن احمد ابن عبد الملك بن عمر بن محمد بن أمية بن عيسى بن شهيد (١) بن عيسى بن شهيد وتنسب عائلته الى قبيلة اشجع وقد افتخر الشاعر بنسبة في شعره (٢) .

من شهيد في سرها ثم من أشجع في السر من لباب اللباب (٣) .

الا ان هذا النسب لم يكن مجمعا عليه من أهل قرطبة ، اذ اختلفت الآراء في حقيقة هذا النسب فبينما يثبتها كثير من المؤرخين المتأخرين فيردونه الى الوضاح بن رزاح الذى كان من الضحاك بن قيس في معركة مرج راهط (٤) . فان ابن حيان المعاصر له يذكر في الحديث من جده عيسى بانه مولى معاوية بن مروان بن الحكم (٥) .

---

(١) انظر : الضبي . أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة . بغية الملتمس القاهرة : دار الكاتب العربي ، سنة ١٩٦٧ . ص ١٩١ .
الحميدى . المرجع السابق . ص ١٢٤ . ولقد سقط اسم امية من الكتابين وقد اثبت الاسم محمود على مكي . انظر ، هامش . ابن حيان القرطبي .
المقتبس . تحقيق محمود على مكي . القاهرة : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية سنة ١٩٧١ .

(٢) الضبي . المرجع نفسه . ص ٣٠٤ .

(٣) ابن بسام . المرجع السابق . ص ٢٥٨ .

(٤) انظر : الضبي . المرجع السابق ص ١٩١ والحميدى . المرجع السابق . ص ١٧٩ . وابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر : وفيات الاعيان . تحقيق محيي الدين عبد الحميد . القاهرة : مكتبة النهضة ، سنة ١٩٤٨ . جـ ١ ، ص ٩٨ .

(٥) ابن حيان القرطبي . المرجع السابق . ص ١٦٦ .

وقد تابعه في ذلك المقرى واضاف الى ذلك بان جدهم الاكبر شهيد « من سبي البرابرة وقيل انه رومى » (١) .

وفيما يبدو ان ابن حيان ــ وهو معاصر لابن شهيد فترة من حياته ــ كان ينقل ما يدور على السنة الناس في قرطبة ، فقد كان الشك شائعا في نسبهم . فلقد ذكر اكثر من مصدر موقفا بين جد الشاعر أحمد بن عبد الملك وبين عبد الملك بن جهور عرض فيها بنسب جده الاكبر بانه كان بيطارا بالشام (٢) ، وقد تناول أكثر من مصدر معاصر مشكلة نسب ابن شهيد ، كما تناولنا محمود علي مكي وايد الشك في نسبه مستخدما عبارة يعلق فيها على هذه الشكوك « لعل هذا هو الصواب » (٣) فمحمود علي مكي وغيره من الباحثين لم يكن لديهم الدليل القاطع على اثبات صحة النسب أو عدم صحته. اذ ان التهم التي كانت توجه الى كثير من الرجالات المشهورين في نسبهم كثيرة في تاريخ العالم العربي ولا سيما حين تكون المنافسات قائمة على السلطة بين الاسر الارستقراطية . ولا شك ان مشكلة نسب ابن شهيد قد اثرت فيه الى حد كبير . وكان الحاحه على الفخر بهذا المنصب يؤكد ان التهمة لم تكن تخفى عليه . ويبدو أن تاثيرها على ابن شهيد كان أكثر من تاثيرها على اسلافه فهم قد تخطوا هذه القضية بما صنعوه من مجد

---

(١) المقرى التلمساني ، أحمد بن محمد . نفح الطيب . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت : دار الكتاب العربي ، (د . ت) ج ٢ ، ص ٤٥ .

(٢) المرجع نفسه . ص ٣٥٦ ــ ٣٥٧ - والضبي - المرجع السابق . ص ١٩٠ .

(٣) ابن حيان القرطبي - المرجع السابق - ص ٢٦٥ .

لهم في قرطبة وفي عالم الخلافة الاموية . ولقد كانت هناك مشكلة أخرى يعاني منها ابن شهيد ، وهي تختلف عن المشكلة الاولى وتتناقص معها وهي عراقة التراث الذي صنعه آباؤه . فلقد ورث تراثا عريقا عنهم ولم يكن بقادر على حفظه .

بدأت حياة هذه الاسرة مع بداية الدولة الاموية في الاندلس . كان جده شهيد الثاني أحد رجالات الامير عبد الرحمن الداخل . دخل الاندلس في صحبته (١) وكان من قواده أرسله سنة ١٦٢ هـ « الى دحية الغساني وكان عاصيا في بعض حصون البيرة فقتله »(٢) . وذكر ابن عذارى انه تقلد قيادة جيش في السنة نفسها (٣) ، وابن شهيد لم يكن من قواده فحسب بل كان أيضا من مستشاريه (٤) ، وأهل ثقته الذين ساهموا في انشاء دولته . واستمر يقوم بهذا المنصب لابنه الامير هشام وتوفي في ولايته سنة ١٨٨ هـ (٥) . وقاد أحد جيوشه سنة ١٧٤ هـ (٦) . وقام ابنه عيسى من بعده بدور كبير في خدمة الامويين حتى نال ثقة الامير عبد الرحمن الثاني بن الحكم فعينه سنة ٢١٨ هـ وزيرا وولاه منصب

(١) ابن الاثير ، عز الدين أبوالحسن علي بن أبي الحكم محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني . الكامل في التاريخ . بيروت : دار صادر ، سنة ١٩٦٥ - جـ ٦ ، ص ١٩٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٥٨٠ .

(٣) ابن عذارى المراكشي . البيان المغرب . تحقيق ليفي بروفنسال . ليدن : أ . ج . أبريل سنة ١٩٥١ - جـ ٢ ، ص ١٢٦ .

(٤) ابن خلدون . تاريخ ابن خلدون - بيروت : دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، سنة ١٩٥٩ . القسم الاول ، المجلد الرابع ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ . والمقري . المرجع السابق . جـ ٤ . ص ٤٥ .

(٥) المرجع نفسه . ص ١٠٠ .

(٦) ابن الاثير . المرجع السابق . ص ١٢٠ .

الحجابة (١) ، وهو المنصب التـالى للخليفة . واستمر يقوم بهذا المنصب لابنه الامير محمد (٢) . وقد اعترف بالدور الذى قام به عيسى فى خدمة الدولة الاموية ،واجمع على انه ما خدم بنى امية احد اكرم من عيسى بن شهيد غاية . « ولا اكرم اصطناعا ، ولا ارعى للذمة » (٣) حتى انه بقى فى منصبه الى أن توفى . واستمر ابنه امية فى خط ابيه يخدم الامويين باخلاص حتى صار حاجبا للأمير محمد (٤) . وقد خلفه من بعده خمسة ابناء عملوا جميعا فى خـدمة الامويين . وهم عيسى وعبد الرحمن وعثمان وعبد الله ومحمد . تولى عبد الرحمن الحجابة للأمير المنذر بن محمد (٥) ، ولاخيه الامير عبد الله من بعده (٦) . اما ابنه محمد وهو جد الشاعر فقد ولى الوزارة وقام ببعض المهام العسكرية للأمير محمد فى سنتى ٢٦٩ و ٢٧٠ هـ (٧).

أما ابنه عمر بن محمد فقد مات فى حياة ابيه وهو يخدم الدولة الاموية حين كان فى عسكر السلطان وهو يحاصر اشبيلية سنة ٢٨٤ هـ (٨) . وقد ترك عمر ابنه عبد الملك صغيرا ليحتل بعد ذلك مركز الصدارة من آل شـهيد ، وقـد استوزره الامير محمـــــد فى اخريات ايامه (٩) ، ثم ولاه الخليفة الناصر فى سنة ١٣٧ هـ (١٠)،

(١) ابن عذارى . المرجع السابق . ص ٨٤
(٢) ابن حيان - المرجع السابق . ص ١٦٧ .
(٣) المرجع نفسه . ص ١٦٩ .
(٤) المرجع نفسه - ص ١٦٩ .
(٥) ابن عذارى . المرجع السابق - ص ١١٣ .
(٦) المرجع نفسه . ص ١٣٠ .
(٧) المرجع نفسه . ص ١٠٥ .
(٨) محمود على مكى . المرجع السابق .
(٩) ابن سعيد ، عبد الملك وآخرين . المغرب فى حلى المغرب . تحقيق شوقى ضيف . القاهرة : دار المعارف ، سنة ١٩٦١ ، جـ ٢ ، ص ٧٧ .
(١٠) ابن عذارى . المرجع السابق - ص ٢٠١ .

وظهر فى هذا التاريخ خالد احد ابناء عمه متوليا لخزانة الناصر (١) .

وبرز اسم احمـــــد بن عبد الملك كاحد اعلام رجال الناصر . وقد ولاه كور غرب الاندلس ، فارسل هـدية تناقلت اخبارها كثير من كتب التاريخ . اعجبت الهدية الناصر حتى انه منحـه لقب ذى الوزارتين (٢) ، وهو اول من تلقب بهذا اللقب من الاندلسيين .

خلف احمد ثلاثة أولاد مروان ومحمد وعبد الملك . استعمل مروان خازنا على الاموال المرسلة للجنـــد بالعدوة (٣) ، كمــا استخزنه الخليفة الحكم المستنصر عام ٣٦٤ هـ على الاموال المرسلة للأمير غالب (٤) . وحين وصل الامر بوقوف عبد الملك على راس اسرة آل شهيد ، قامت الاسرة بدور آخر فى تاريخ الخـلافة الاموية ، فقد ساندوا محمد بن أبى عامر وشاركهم فى ذلك آل ابى عبده وآل جهور وآل فطيس (٥) وقد كانوا يعدون فى ذلك الوقت « أزمة الملك ، وقـوام الخدمة ، ومصابيح الامة » (٦) وآل شهيد لم يكونوا يتحولون من

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٠٢ .

(٢) ابن خلدون ، المرجع الســابق ، ص ٢٩٩ ـ ٣٠١ ـ والمقرى التلمسانى ، شهاب الدين احمد بن محمد ، أزهار الرياض فى أخبار عياض ، الرباط : صندوق احياء التراث الاسلامى المشترك ، سـنة ١٩٧٨ ، جـ ٢ ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٣ .

(٣) ابن حيان القرطبى ، المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، بيروت : دار الثقافة ، سنة ١٩٦٥ ، ص ٢٢٣ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٦٨ ، ١٨٣ .

(٥) ابن عذارى ، المرجع السابق ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٦) المرجع نفسه .

سيد الى سيد فما زال اسم الدولة مرتبطا بالامويين ، فهم فى حزب المنصور موالين للدولة بالاسم ، ولم يكن ذلك يمثل عبئا نفسيا على ال شهيد والاسر الكبيرة فى قرطبة ، فالمنصور أعطى للموالين له الكثير من وده وحبه فكان ان عين عبد الملك بن احمد والد الشاعر وزيرا له واستعمله على بلنسية وتدمير لمدة تسعة اعوام حتى سئم العمل وطلب الاقالة فاقيل ، وقد حمل معه الى قرطبة ثروة كبيرة قدمها الى المنصور الذى ردها عليه بقوله « لو اردنا اخذ ما اعطيناك ما قدمناك » (١) ، واضاف الى ذلك ان اهداه محصول ضيعه وكان ذلك تقديرا من المنصور لعبد الملك وخدماته . وأصبح عبد الملك منذ ذلك الحين جليس المنصور فى قرطبة .

وقد ذكر ايضا اسم ابن أخيه عبد الملك بن مروان بن احمد متوليا للأحكام بقرطبة ، وكان محمودا فى أحكامه، وتوفى فى رجب سنة ثمان واربعمائة (٢) وهو آخر الاسماء التى احتفظت بها كتب الادب والتاريخ الاندلسى عن أبناء شهيد . فلم يبق من الاسماء الكبيرة من اسرة ابن شهيد غيره ، مما أدى بكثير من المؤرخين فى العصر الحديث الى أن يعدوه خاتمة هذه الاسرة » (٣) .

---

(١) ابن بسام ، المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٢) ابن بشكوال ، أبوالقاسم خلف بن عبد الملك ، كتاب الصلة ، القاهرة : الدار المصرية للتاليف والترجمة ، سنة ١٩٦٦ ، جـ ٢ ، ص ٣٥٧ .

(٣) بلا ، المرجع السابق ، ص ٧٢ ، لقد كان ذكى اكثر دقة فى تعبيره اذ لم يذكر ان اسرة بنى شهيد قد انتهت وانما ذكر انه (بموته انتهت سلالة ابيه المرجع السابق) ص ٦٥ معتمدا فى ذلك على ماذكره الضبى بقوله : (وانقطع عقب الوزير ابنه بعد وفاته) ، المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

ولقد تحول هذا التراث الى عبء على ابن شهيد . وحاول جاهدا ان يعيد بناءه ولكن الظروف فى عصره كانت مختلفة عن الظروف التى شهدها أسلافه ، فالاسرة الاموية تنقرض والدولة العامرية تنتهى وهو فى شبابه . كان تاريخ حياته نهاية عالم وبداية عالم آخر ، ففى الفترة التى عاش فيها ابن شهيد فيما بين مولده سنة ٣٨٢ هـ ووفاته سنة ٤٢٦ هـ ، اى فترة أقل من ثلاثة واربعين عاما ، تغير فيها وجه قرطبة والاندلس تغيرا كاملا . انتهت الدولة العامرية وفى الفترة ما بين سنة ٤٠٦ — ٤٢٢ هـ تناوب حكم قرطبة ثمانية حكام . وما أن يشارف نهاية حياته حتى يبدأ عصر جديد سنة ٤٢٢ هـ لا فى قرطبة وحدها بل فى الاندلس كله ، اذ يبدأ عصر ملوك الطوائف ، وتصبح قرطبة واحدة من العـــواصم التى عرفت بها الاندلس . ولا يصبح لابن شهيد مكان فيه .

واذا كانت الظروف السياسية أقوى من ابن شـــهيد فان الطبيعة ايضا كانت ضده . لقد أراد ان يكون الوزير الكاتب وهى وظيفة لم يصل اليهـــــا من اسرته سوى عبد الملك بن عبد الله بن امية كاتب الامير محمد . ولقد عجز ايضا عن الوصول الى هذه الوظيفة مع شعوره بانه يستحقها . وجد لذلك عذرا وهو ثقل سمعه . ولا حيلة له فى ذلك فهو عجز لا يعرف اذا كان قد ولد به أم انه اصيب به بعد مولده . وهو يقرر ان هذه الوظيفة تحتاج الى رجل سليم الحواس (١) واذا كان ابن شـــهيد قـــد فشل فى ان يحتل مكانة اسلافه السياسية فانه تطلع الى أن يتفوق عليهم من الناحية الادبية .

---

(١) ابن بسام ، المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

لقد جعل من قدرته وقدرة أهله الفنية موضوعا يفتخر به على اقرانه فى رسالة التوابع والزوابع . وقد ذكر فيها أشعارا من تاليف اخيه وعمه وجده وجد أبيه (١) . وهو يريد أن يقرر أنه شاعر من اصول شاعرة . وهذه حقيقة فقد كان جده عبد الملك شاعرا كما كان اديبا حافظا ذاكرا الاخبار ، الف للحكم ولى العهد فى خلافة ابيه الناصر كتابا فى الآداب والحكم والوصايا سماه « اصلاح الخلق » (٢) . كما كان جده احمد شاعرا مطبوعا (٣) . وكذلك كان والده عبد الملك الذى كان فيما يبدو عالما وكان له تلاميذ ينقلون عنه كما انه الف كتاب التاريخ الكبير ، وهو ازيد من مائة سفر (٤) . وكان لابن عمه عبد الملك بن مروان عناية بالحديث وكان واسع الادب والمعرفة (٥) . ولا شك أن ابن شهيد تفوق عليهم جميعا فهو افضل افراد هذه الاسرة شاعرية ، واقلها حظا فى المكانة الاجتماعية . وهو لم يتفوق على افراد هذه الاسرة فقط بل تفوق على معظم شعراء عصره حتى عد اديب قرطبة . ذكر عن ابن حيان خبر مؤداة ان قرطبة كانت تعترف له بهذه القدرة وتعده اديبها . فان ابا جعفر بن عباس وزير الصقلبى لما قدم الى قرطبة « تنقص اديبهم ابا عامر بن شهيد » (٦) ، وهذا القول من ابن حيان بأنه

---

(١) ابن شهيد . المرجع السابق . ص ١٦٨ — ٢٠٠ .

(٢) عبد الملك الاوسى المراكشى ، ابو عبد الله محمد بن محمد . الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة . تحقيق احسان عباس . بيروت : دار الثقافة ، سنة ١٩٦٥ . القسم الاول ، ص ٢٦ .

(٣) انظر : المقرى . المرجع السابق . جـ ١ ، ص ٣٣٨ .

(٤) ابن بشكوال . المرجع السابق . ص ٣٥٥ .

(٥) المرجع نفسه . ص ٣٥٧ .

(٦) ابن بسام . المرجع السابق . القسم الاول ، جـ ٢ ، ص ٦٦٦ .

اديب قرطبـــة اعترافه بمكانة الرجل فى عالم قرطبة الادبى .

واذا كانت قرطبة قد اعترفت له بالصـــدارة فى عالم الادب وحرمته التفوق السياسى فان ذلك لم يمر ببساطة على نفسية ابن شهيد . لقد ادى به ذلك الى اغراق فى المتعة ليخفى قلقه ، فالمجون الذى عرف به ابن شهيد مجون ازمة وليس مجونا صادرا عن فلسفة . لقد كان ينفث فى هذا المجون طاقاته التى لم تجد لها متنفسا غير الادب والانطلاق فى المتع . ولم تكن هذه المتع لترضيه ايضا فكان كثير الملل ، ولقد جعل هذا الملل مدخـلا لرسالته « وكان لى فى اوائل صبوتى هوى اشتد به كلفى ، ثم لحقنى بعد ملل فى اثناء ذلك الميل » (١) ، وقد استخدمها استخداما فنيا جعل لقـاءه مع تابعه الجنى يبدو طبيعيا اذ ان هـذا الملل ادى به الى موقف درامى فقد مات من كان يهواه مدة هذا الملل ، فاخذ يرثيه الى ان انتهى الى الاعتذار عنه فتوقف عند البيت .

وكنت مللتـــك لا عن قلى
ولا عن فساد جرى فى ضميرى

فارتج عليه القول وافحم ، وهنا ظهر تابعه زهير بن نمير من اشجع الجن (٢) .

استخدم ابن شهيد حياته فى اعماله استخداما جعلها مرتبطة بفنه ارتباطا كبيرا . وكان حسه الفنى اقوى من حسه السياسى فهو قد تبع عاطفته فى كل فعل قام

---

(١) ابن شهيد . المصدر السابق . ص ١١٩ .
(٢) المصدر نفسه . ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

به وتحولت حياته بما فيها من حركة وخلق الى بناء فنى متكامل ، فهذا الذى كان متهما فى اخلاقه ، كان ايضا ممدوحا فى جوانب كثيرة . وكما كان له اعداء كان له اصدقاء يحبونه ويرتبطون به . وكثير من هؤلاء الاصدقاء كانت بينه وبينهم علاقة يختلط فيها الحب بالكره .

ولعل ابلغ مثل على ذلك ابن الافليلى الذى نال ابن شهيد بسهام نقده . كما رماه ابن شهيد باقسى مما نقده به ؛ مدحه ابن شهيد فى شعره :

غير انى مع الوزير ابى القـــاسم
حزب محض من الاحـــــزاب
التقى النقى كهـــــلا وطفـــــلا
فارس الجيش راهب المحراب (١)

كما مدحه ابن الافليلى مع نقده له . وقد عرض عليه شاعر شعرا استخدم فيه وحشى الكلام « فقال له : ان ابا عامر يستعمله . فقال : يضعه فى موضعه وهو ادرب فى اســـــــــتعماله » (٢) ، فعداء ابن شهيد لابن الافليلى عداء فنى استخدمه ابن شهيد مادة لفنه كمـــا استخدم حياته مادة لكتابته ،فهو فنان يقف مع العاطفة بشقيها الحب والكره .

كان ابن شهيد يمثل الفتى القرطبى الذى عاش احداث حياته معيشة كاملة واحبها بكل نفســه حتى انه اعتذر عن مغادرتها . وهو فى اعتذاره يكشف عن انه لم يكن حبا اعمى فهو يعرف عيوب قرطبـــــة . ويدرك القلق

---

(١) ابن بسام ، المرجع السابق ، القسم الاول ، جـ ١ ، ص ٢١٥ ، ٢١٦
(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٢٥ .

والانهيار الذى حدث لها . ولقد رد على عبد العـــزيز المؤتمن بن عبد الرحمن بن المنصور حين طلب منه أن يلحق به معتذرا بهذا الحب « ولكنى ممنوع وعن ارادتى مقموع ، بملكنى سلطان قدير ، وامير ليس كمثله امير . شىء قلب صبر الاتقياء ، واستولى على عزم الانبياء وهو العشق » (١) ، لم يبرر هذا الحب بان مدينته أجمل المدن أو انها تتميز بما لا تتميز به مدينة اخرى ، بل على النقيض من ذلك تصور حبيبته بانها عجوز بخراء سهكة درداء زانية تدعى قرطبة :

عجوز لعمر الصـــــبا فانية
لها فى الحشا صورة الغانية

زنت بالرجال على ســـــنها
فيا حبذا هى من زانيـــــة

تربك العقـــول على ضعفهـــا
تدار كما دارت الســـــاقية

تقاصر عن طولهـــــا قونكة
وتبعد عن غنجهـــــا دانية

ترديت من حزن عيشى بهـــا
غراما فيا طـول احزانيه (٢)

ولم يكن بمستغرب ذلك منه ، فقد ســبقه ابوه الى ذلك حين التمس الاقـالة من عمله قائمـــا بامر تدمير وبلنسـية لكن الامر مختلف عن موقف والده ، فهـــو لا يترك المدينة ويعود متشوقا اليها ، وانما هو برقض تركها ، ولقد ذكر ابن بسام فى مقدمة قصيدته :

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٠٧ .
(٢) ابن بسام ، المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

اری امینا ترنو الی کأنما ...

انه « ازمع على الخروج من قرطبة الى مالقة لاحقا بيحيى بن علي » (١)،وقد كانت هذه العبارة مثارا لتكهنات كثيرة ، فاحمد هيكل يذكر انه زار الامير يحيى بن حمود في مالقة ، ولكن اقامته لم تطـل (٢) وتابعه في ذلك مونرو وبلا (٣) بينما كان احساس عبـاس اكثر حرصا منهما ، فهو لم يجزم بشيء وانما ذكر « انه فكر في اللحاق به الى مالقة . ولا ندري هل نفذ هذا العزم او رجع عنه (٤) وليس هناك دليل يدعم فكرة سفره الى مالقة فهي لتكهنات لا تجد دليلا يسندها ، فابن شهيد ربمـا فكر في الخروج من قرطبة في لحظة من لحظـات قلقة وضيقة ، ولكن تنفيذ هذا العزم امر مختلف عن التفكير فيه ، فلقد ارتبطت نفسـه بقرطبة وحديثه عن الخروج ليس اكثر من لفتة شاعر تعبر عن عدم ارتيـاح نفسي للفتنة التي وصلت مداها في قرطبة وعجزه عن أن يجد طريقا لتحقيق طموحه فيها . فهو قد عاش ضغوطا كثيرة، ولكن هذه الضغوط لم تخرجه عنها ، وانما أدت به الى كتابة رسالة التوابع والزوابع ليعبر فيها عن كل ما يقلقه في قرطبة ومجتمعها .

لقد وصل ابن شهيد الى السلطة في فترات قصيرة فقد استوزره المستظهر سنة ٤١٤ هـ ، ولكن ذلك لم

---

(١) المرجع نفسه - ص ٣١١ .

(٢) هيكل . المرجع السابق - ص ٣٧٠ .

Monroe, J.T. Op. Cit. « p. 14 ».

(٣) ذكر بلا أن ابن شهيد هرب بعد قتل المستظهر في سنة ٤١٤ ولحق بمالقة ملتجئا الى يحيى بن حمود . وليس هنـاك دليل يدعم مايقول ، أنظر بلا . المرجع السابق . ص ٤٥ .

(٤) عباس . المرجع السابق . ص ٢٧٧ .

يطل ، وبقى منذ ذلك التاريخ يتطلع الى وجود سياسى قومى ف قرطبة . وتعجل ابن شهيد الوصول الى السلطه حتى اتيحت له الفرصة ابان دخول الخليفة هشام المعتمد قرطبة سنة ٤٢٠ هـ ، فقد أصبح وزيره ، وتعامل مع حاجبه الحكم بن سـعيد الذى كان مكروها من اهل قرطبة (١) . وقد اساء سعيد اليهم واشترك ابن شهيد معه فى الاساءة الى اهل قرطبة ، فكان ان تحمل بعض وزر الحكم بن سعيد . واصبحت نهاية خلافة هشام المعتمد سنة ٤٢٢ هـ نهاية لابن شهيد سياسيا كما كانت نهاية للخلافة الاموية فى الاندلس . ومع نهاية الخلافة وقعت قرطبة فى يد رجل ذكى ابتعد بنفسه عن أن ياخذ مكانا فى الفتنة . ونال احترام أهلها ، وكان بذلك هو الرجل المهيا لان ينهى الخلافة وأن يصبح امير قرطبـة . وهو ابو الحزم بن جهور والفترة التى تنحصر بين وقوع قرطبة فى يده فى ذى الحجة سنة ٤٢٢ هـ (٢) حتى وفاة ابن شهيد فى جمادى الاولى سنة ٤٢٦ تمثل فترة صمت سياسى فى حياته ، فهل كان هذا الانتظـار ترقبا ام يأسا ؟ . ربما يبدر الى الذهن ان ابن شهيد كان يترقب الفرصة التى تتاح له لياخذ دورا فى حكومة ابن جهور . ولكن الحقيقة غير ذلك فابن شهيد كان يعرف الا مكان له مع ابن جهور ، فالحاكم الجديد لم يكن ف حاجة الى ابن شهيد . وقد أدرك ابن شهيد الا مكان له معه ، فكان عليه ان يغادر قرطبة ليبحث عن سيد آخر يخدمه او ان يبقى فى قرطبة الحبيبة الى نفسـه . ومع الشعور بالاحباط والخيبة ، واليأس من مستقبل سياسى فقد

---

(١) ابن عذارى - المرجع السابق - جـ ٣ ، ص ١٤٧ ــ ١٥٠ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ١٨٥ .

اختار أن يبقى بقرطبة مخفيا الم الاحساس بالفشل ومستسلما له . وهو فى بقائه بقرطبة يؤكد صدق قوله بانه « عاكف على الوطن عكوف الراهب الصنم » (١) ، الا أن جسده لم يحتمل فقد سقط مريضا فى شهر ذى القعدة سنة ٤٢٥ هـ مريضا بمرض أقرب الى ان يكون سرطان الرئة الذى عانى منه معاناة شديدة اكثر من ستة اشهر كتب فيها قصائد فريدة عبر فيها عن لحظة الالم ، وموقفه كانسان من عقيدته ، وحياته ، وحبه للعالم المحيط به ، ولاصدقائه العديدين . ولقد مثلت هذه القصائد شخصية ابن شهيد العاطفية ولون العلاقات التى كان يحياها ، فهو بعد سقوطه كسياسى بقيت فيه شخصية الانسان مؤثرة فى عالمه الى حد كبير . وحين وافته منيته فى آخريات جمادى الاولى سنة ٤٢٦ هـ سقط امام اهل قرطبة كبطل ماساوى صرعته احلامه ونزوعه للحياة كما صرعه القدر دون ان يحقق لنفسه وجودا سياسيا مساويا لوجود اسلافه . ولقد ودعته قرطبة وداعا حارا عند رحيله عن عالمها الى الابد بما يكشف أن العلاقة بينهما لم تكن من طرف واحد بل كانت علاقة دينمية سجلت قرطبة حبها له فى هذا الوداع اذ « لم يشهد على قبر أحد ما شهد على قبره من البكاء والعويل ، وانشد على قبره من المراثى جملة موفورة لطوائف كثيرة » (٢) .

ولقد ترك ابن شهيد من بين ما ترك من أعمال « رسالة

(١) ابن بسام ، الرجع السابق ، ص ١٩٧ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٣٥ .

التوابع والزوابع » التي شغلت الدارسين المحدثين بما جعل ابن شهيد علما من اعلام الادب العربي القديم .

— ٢ —

امتزج في رسالة التوابع والزوابع عالم الخيال بعالم الواقع ، فكل حركة وشـــخصية في العمل مرتبطة بالواقع . لقد التقى بشعراء من عالم الجن هم أصحاب لشعراء من عالم الانس . ووقف عالم الخيال متداخلا مع عالم الواقع تداخلا كاملا ، فاطار عالم الخيال — وان استمد عناصره من التصورات المحيطة به — مركب تركيبا اصبح بقدرته الخالقة من صنعه هو . وفي الوقت نفسه فان عالم الخيال هذا لم يكن ممثـــلا الا لصورة عالم الواقع . فالشخوص الخيـــالية لعالم الجن متماثلة لشخوص حقيقيين لعالم البشر . وعالم الجن بما فيه يقف متماثلا لعالم الانس بكل مافيه . وهو بذلك جعل من عالم الجن وعالم الانس عالما واحــدا ، اى ان الخيال والحقيقة قد اتحدا ، ولم يصبح عالم الخيال هنا جديدا، اذ هو صورة لعالم الواقع حتى ان كلمة خيال تلقى تماما لتتحول الى واقع . وتصبح المسالة مسالة رموز ليست صعبة الكشف . وهو لم يكن يريد ان يخفيها فعالم الجن او عالم الخيال هو عالم ابن شهيد او هو عالم الواقع ، ومن ناحية اخرى لم يتوقف المؤلف عند هذا الحد بل تعداه الى الارتفاع بالمقابلةبين عالم الجن وعالم الانس ليتحول عالم الجن الى عالم الباطن وهو المثل ، وعالم الانس الى عالم الظاهر وهو الممثول . ويحدث بذلك تحول

يصبح فيه عالم الجن هو الحقيقة ، او يصبح عالم الخيال هو الواقع بينما يصبح عالم الانســــان هو الوهم ، او يصبح عالم الواقع هو الخيال . فالانسان هو الصورة التى تفنى وتموت ، بينما الجن الخالق باق بقـــدراته الفنية .

ولقد حدد لكل الشعراء الذين ذكروا فى الرسالة الاصل الخالق . وهو لم يستعر الاســماء المعروفة فى التراث العربى لاسماء الجن الخالقين ، وانما وضع لهم اسماء جديدة واحتفظ بالاطار العام لفكرة ارتباط الجن بعملية الخلق .

الاصل — الجن — فى مقابل — الصورة — الانس .

وقسمهم الى عدة اقسام توابع الشعراء وتوابع الكتاب غير المعاصرين له وتوابع معاصريه من الكتاب والشعراء ثم ختم رسالته بالتوابع من حيوان الجن وطيوره

الشعراء : الصورة

عتيبة بن نوفل : امرؤ القيس
عنتر بن العجلان : طرفة بن العبد
ابو الخطار : قيس بن الخطيم .
عتاب بن حبناء : ابو تمام
ابو الطبع : البحترى
حسين الدنان : ابو نواس
حارثة بن المغلس : المتنبى

الكتاب

ابو عيينة عتبة بن الارقم : الجاحظ
ابو هبيرة : عبد الحميد

زبدة الحقب : بديع الزمان
معاصرو ابن شهيد من الشعراء والكتاب :
انف الناقة بن معمر : ابو القاسم الافليلى
ابو الآداب : اسحاق بن حمام
فرعون بن الجون : تابعة رجل كبير من قرطبة
حيوان الجن وطيوره
الاوزة : تابعة شيخ من مشايخ قرطبة
بغلة ابى عيسى : بغلة ابى عيسى

لم تقف المقابلة فى الرسالة بين الجن والانس عند حدود الشعر وانما تعدتها لتصبح بين الصورة والاصل فى الصفات الخلقية على قدر ما أسعفته مصادر معرفته بالشاعر او الكاتب . وقد اراد بهذا ان يضيف جوا يقارب من حقيقة ما يقوم بتصويره ، فهو حين اراد تصوير الشاعرين امرىء القيس وطرفه لم تسعفه مصادره فى تصويرهما تصويرا جسمانيا ، لذا فاته صورهما بما اشتهر عنهما فى أشعارهما ، فيظهر امرؤ القيس فارسا على فرس اشقر (١) وصاحب طرفة يبدو شابا راكبا لم يحدد الدابة التى يركبها ولكن بطء الحركة يوضح انه كان يركب ناقة . ويظهر شابا جميل الوجه معجبا بنفسه متوشحا سيفا ، واشتمل على كساء خز وبيده خطى(٢). ويظهر قيس بن الخطيم كالاسد على فرس كأنها العقاب ، جرىء عنيف صاحب قنص حتى ليخافه ابن شهيد (٣) . وحين يظهر له ابو تمام يدهش لوجهه الفتى كفلقة

---
(١) ابن شهيد ، المصدر السابق ، ص ١٢٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٩ .

القمر (١) . ويجد صاحب البحترى فى قصر ـ اشارة الى شهرته فى تصوير القصور ـ راكبا فرسا اشعل وبيده قناة (٢) وحين وصف صاحبى المتنبى وابى نواس اسعفته المصادر ليكون صورة اوضح واعمق عنهما . فرسم للمتنبى صورة مستمدة من بيته :

الخيل والليل والبيداء تعـرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم (٣)

تصور الرسالة المتنبى شيخا وقورا صـاحب قنص يظهر راكبا « على فرس بيضاء » كانه على كثيب وبيده قناة قد اسندها الى عنقه وعلى راسه عمامة حمراء ،وقد ارخى لها عذبة صفراء (٤) . اما صاحب ابى نواس فقد كان أكثر الشعراء حظا فى تصوير المؤلف له . لقد نقل الجو الذى عاش فيه ابو نواس ، فهو حين توجه مع تابعه القـاه تابع ابى نواس ، سارا حتى انتهيا الى جبل دير حنة الذى ورد ذكره فى شعر ابى نواس . وحين وصلا الى الجبل سمع قرع النواقيس . وسـارا فى الجبل يجتابان اديارا وكنائس حتى وصلا الى دير عظيم تعبق روائحه وتصوك نواقحه . ولم يكن هذا الدير سوى دير حنة واقبلت نحوهما الرهابين مشـدودة بالزنانير بيض الحواجب واللحى فأخذوهما الى بيت ابى نواس ، فاذا الدنان فيه مصطفة . اما ابو نواس فيظهر شـيخا

---

(١) المصدر نفسه ص ١٣٢ .
(٢) المصدر نفسه . ص ١٣٩ .
(٣) ابو الطيب المتنبى . ديوان . تحقيق نصيف اليسازجى : دار الصياد ، سنة ١٩٦٤ . جـ ١ ، ص ١٣١ .
(٤) ابن شهيد . المصدر السابق . ص ١٥١ .

طويل الوجه والسبلة . عكف على الخمرة عشرة ايام . افترش اضغاث زهر واتكأ على زق خمر وبيده كاس يشرب منه . وحوله الصبية كالظبيان (١) . وانشده ابن شهيد من شعره فى الخمر والقصيدة فيها روح ابى نواس فهى معارضة لشعره . اخذ ابو نواس يصحو بعد هذا ، وحاول ان يفيق فاستدعى ماء شرب منه وغسل وجهه وافاق ثم اخذا يتناشدان الشعر ، وانتهى الموقف بان اهتز ابو نواس طربا حين سمع بيتا من شعر ابن شهيد ، « فقام يرقص وقد اخذ يردده » (٢) .

ولم ينل الكتاب من ابن شهيد هذا الاهتمام فى تصويره لهم ، فصاحب الجاحظ لم يزد فى تصويره عما عرف عنه من انه كان جاحظ العينين ، فرسمه شيخا جاحظ العين اليمنى اصلع . واضاف الى ذلك انه كانت على راسه قلنسوة بيضاء طويلة (٣) . ولم يرد لصاحب عبد الحميد اى ذكر عن صورته الجسمانية . وكذلك كان حظ بديع الزمان الهمذانى ، فهو لم يزد فى وصفه على القول بانه فتى (٤) ، فلقد مات بديع الزمان وهو لم ينه العقد الرابع من حياته (٥) .

ولم يكن فى حاجة الى ان يقوم بتصوير هؤلاء الكتاب تصويرا دقيقا ، فاستعاض عنه بالحوار يصور به الجو العام للمجلس ، فكان وصفه للشعراء تلوينا للرسالة

---

(١) المصدر نفسه - ص ١٤١ ، ١٤٢ .
(٢) المصدر نفسه - ص ١٥٠ .
(٣) ابن شهيد - المصدر السابق - ص ١٥٨ .
(٤) المرجع نفسه - ص ١٦٢ .
(٥) الثعالبى ، ابو منصور عبد الملك بن محمد - يتيمة الدهر - القاهرة : مطبعة الصاوى ، سنة ١٩٣٤ هـ ، جـ ٤ ، ص ١٦٨ .

اخرجها عن الجفاف وجعل روح الفكاهة غالبة عليها وخلق متعة لقارئه بينما كان الحوار بين الكتاب على درجة كبيرة من الهزل فلم يكن جامدا متوقفا .

وقد كان حظ معاصريه اكثر من حظ الكتاب فهو يعرفهم اكثر مما يعرف الشعراء والكتاب غير المعاصرين له . وهو اذا كان قد خلق جوا فكها وجادا فى تصويره لابى نواس والمتنبى فانه كان هازلا وساخرا فى تصويره لمعاصريه . وقد صبغت هذه السخرية تصويره لابى القاسم الافليلى « أشمط ، ربعة ، وارم الانف ، يغمز فى مشيته ، كاسرا لطرفه ، زاويا لانفه » (١) .

ولم يتوقف ابن شهيد عن بث روح السخرية من معاصريه بتصويراته الكاريكاتيرية المازحة ، فاختار لاحدهم اوزة لتكون تابعته امعانا فى السخرية منه ، وهو لم يحدد متبوعها ، فقط ذكره بانه شيخ من مشايخهم (٢) كما انه لم يذكر اسم صاحب فرعون بن الجون ، اذ انه بهذه الاوصاف قد كشفها لمعاصريه من ابناء قرطبة او انه جعلهم يتعرفون من خلالها على اكثر من شخص من الشخصيات التى اراد أن ينال منها ابن شهيد . فهما يعبران عن رمز مكشوف . وفى صورته للنعامة يقدمها « أوزة بيضاء شهلاء فى مثل جثمان النعامة ، كأنما ذر عليها الكافور أو لبست غلالة من دمقس الحرير لم ار اخف من راسها حركة ولا أحس للماء فى ظهرها صبا ، تثنى سالفتها ، وتكسر حدقتها ، وتلولب قمحدوتها ، فترى الحسن مستعارا منها ، والشكل مأخوذا عنها »(٣).

---

(١) ابن شهيد . المصدر السابق . ص ١٦٨ .
(٢) ابن شهيد . المصدر السابق . ص ٢٠٦ .
(٣) المصدر نفسه .

وبتبديل بعض الكلمات في هذه الصورة لا تخـــرج عن صورة لانسان محدد ، كشف بقية ملامحه حين جعله او جعلها لا تهتم من الادب بغير احسان النحو والغـريب اللذين هما فى نظرها اصل الـكلام . وعاد يصور الاوزة تصويره لمبتدعها بأن عقله محشو هواء مثله في ذلك مثل الاوزة فان الطبيعة لم تمنحه العقل والطبع فلا سبيل له اليهما ، وكل ما يستطيعه ان يحصل على عقل التجربة وهو يعنى بذلك القراءة والمدارسة ، وعلى متبوع الاوزة ان يحاول ذلك ، فاذا ما أحرز العلم فان عليه ان يناظر ف الادب . وحتى يصل الى ذلك فان رايه حتى الآن كراى الاوزة غذاؤه ماء وحشـــو راسه هواء (١) . وختم الرسالة بصورة هذه الاوزة انما كان محاولة منه ان يحقق رغبته في الانتصار على ناقديه ، ووضع كل ما يريد ان يقوله دفاعا عن نفســه أمامهم وامام مجتمعه .

كان لهذا التصوير دور كبير فى ان يجعـــل رسالة التوابع والزوابع باقية حتى الآن ويجعل الحس الانسانى فيها يتخطى الزمن الذى كتبت فيه ، اذ لم تعد هناك قيمة للقارىء المعاصر ، ان يكون ابن شهيد قد ذكر اسماء معاصريه أم لم يذكر فهى قيمة تاريخية ، وسواء تكشفت العلاقة بين التابع والمتبوع أم لم تتكشف . فان شخصية هؤلاء التوابع تحولت الى شخصيات فنية فى عمل قصصى مستقل عن عصره بقدر ارتباطه به . ولم يكن ذلك وحده هو الذى ساهم في نجاح هذا العمل وانما كان هناك عامل آخر ساهم ايضا فى نجاحه وابقائه حيا الى الآن ، وهو الكيفية التى استخدم بها التراث استخداما واعيا مترابطا

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٩ .

يخدم بناء العمـــل القصصي بدقة دون أن يفقد التراث شخصيته ودون أن يفقد الفنان شخصيته باستخدامه والاضافة اليه بما يسمح به العمل نفسه .

ـ جـ ـ

يحدد عنوان الرسالة موضـوعها ، فهى عن التوابع والزوابع ، وقد أدى الموضوع بمونرو . ج الى الحكم على مؤلفها بانه متاثر فى كتابتها بالافلوطينية المحـــدثة ، متصورا أن المؤلف كان يؤمن بقدرة الجن على الخلق فهو هنا يجعل الجن مقابل الميوس التى كان اليونانيون القدماء يعتقدون أن لها دورا فى عملية الخلق الفنى (١) ، ووضع رسما بيانيا يوضح وجهة نظره ويدعمها يقابل فيه بين راى افلوطين وبين راى ابن شـــهيد فى عملية الخلق الفنى :

افلوطين ـ العقل ـ الـكلى ـ النفس الـكلية ـ العفاريت ـ النفس المفـكرة ـ النفس العـاقلة ـ روح حيوانية .

ابن شهيد الله القرآن الفصاحة الجن الشاعر (عقل الطبيعة) المؤدب (عقل التجـربة) موجب ـ سالب الاثان ، الاوزة (عالم (٢) ما وراء الطبيعة) .

ويبدو من شكل هذا الرسم وكأن العـلاقة واضحة ما بينها الا انه لا علاقة البتة بين مفهوم افلوطين وبين

---

(١) Monroe. J.T. Op. Cit., « p.p. 37 - 38 ».

(٢) Ibid.

مفهوم ابن شهيد عن الخلق الفنى . فالعالم المقدس لدى المسلمين لا يسير فى هذا التتابع :

الله — القرآن — الفصاحة — الجن .

لقد خرج الجن تماما من المقدس منذ بداية الاسلام ولم يعد له دور فى القداسة وتحدد الى أن يصبح دنيويا مساويا للانس . ويصبح الشعر ذا شقين احدهما مقدس والآخر دنيوى وقد تم الفصل بينهما تماما (١) . وحين يأتى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى يخــــرج الشعراء الجن من دائرة الخلق الفنى الشعرى ليبقى فى المعتقدات الشعبية العربية . ولقد كان يمكن ان يطبق هذا النظام وبتعسف شديد على الشعر فى العصر الجاهلى غير انه لا يصبح له مكان فى الحديث عن ابن شهيد . واذا كان هناك ما يمكن ان يقال عن تأثر ابن شـــهيد بالافلوطينية المحدثة فهى فكرة المثل والممثول ، وهو لم يستعرها مباشرة منها ، فقد كانت فكرة الظاهر والباطن شائعة بين الاسماعيليين والصوفية هذا فضلا عن أنهـا فكرة اقدم من عصر ابن شهيد واقدم من علاقة العرب بافلوطين فهى ترجع الى العصر الجـــاهلى حين لم يكن العرب يعرفون شيئا عنه .

ولقد عرفت الشعوب هذا اللون من الاعتقاد بما يسبق تاريخ الافلوطينية نفسها فهى قديمة قدم اعتقاد الانسان فى قوى ما وراء الطبيعة . يضاف الى ذلك ان ابن شهيد لم يكن يعتقد فى دور للجن فى عملية الخلق فهو قد

---

(١) اعنى بالمقدس المرتبط بقوة الهية واعنى بالدنيوى المرتبط بقوة الجن والشياطين .

حددها عند حديثه مع صاحب ابى القاسم الافليلى ، وقد اراد ان يوضح له ان منحة الادب منة منها الله عليه فاستخدم دليلا على ذلك من كلام الله تعالى « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان » (١) ، فابن شهيد كان يستخدم التراث فى وقت لم يعد فيه هذا التراث جزءا من عقيدة الشعراء الكبار . وقد تحول الى موضوع طريف يصب فيه الكاتب آراءه وافكاره .

ويجب ان يوضح هنا ان ابن شهيد وجد مادة ضخمة فى التراث الشعبى والدينى هضمها وقدم منها عمله بما يؤكد الا دخل لعناصر اجنبية فى عمله الفنى . فكلمة التوابع مفردها تابع وهو القرين ، الشيطان من ولد ابليس « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » (٢) يزين للانسان سوء اعماله « وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم » (٣) .

ولقد كان هناك اعتقاد شائع انه ليس من ولد آدم الا وله شيطان قد قرن به . والاعتقادات فى هذا لا تستثنى من ذلك احدا .

اما الزوابع فمفردها زوبعة ، وتعنى فى اللغة « اسم شيطان او رئيس للجن ، ومنه سمى الاعصار زوبعة (٤) . وقد ذكر هذا الاسم علما على واحد من جن نصيبين اسمه زوبعة ، فقد روى عن رجل من التابعين « ان حية دخلت فى خبائه تلهث عطشا ، فسقاها ثم انها ماتت ، فدفنها

---

(١) ١ ـ ٤ ك الرحمن ٥٥

(٢) ٣٦ ك الزخرف ٤٣ .

(٣) ٢٥ ك فصلت ٤١ .

(٤) الفيروز ابادى ، مجد الدين القاموس المحيط . القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى . (د . ت) ص ٣٣

فاتى من الليل (رجل) فسلم عليه ، وشكره واخبره ان تلك الحية كان رجلا صالحا من جن نصيبين اسمه زوبعة »(١).

واستخدام ابن شهيد موضوع « التوابع والزوابع » وجعل شخوصه من الجن تابعى الانس هو محاولة ذكية من المؤلف لينقل قارئه مباشرة الى جو العالم الذى اراد ان يوهم بانه يتحدث عنه ، فهو يحاول ان يستخدم الابهام حتى لا يعطى الحقيقة كلها لقارئه ليدفعه للتامل والتفكير فيما اراد ان يقوله . ولما كانت فكرة شيطان الشعر شائعة فى عصره ، فلن يكون غريبا على القارىء ان يجد هؤلاء التوابع مجسدين فى عمل فنى ، فيتابع المؤلف متابعة دقيقة فى هدفه . لقد كان المؤلف يريد لعمله وظيفة محددة وهى الدفاع عن نفسه فى محكمة ادبية . وكان اليق به ان يستخدم الجن هنا فى مقابل الشعراء والكتاب ليكونوا الحكومة التى تحكم له او عليه ، فهو يكون محكمة ادبية لا يريد ان يجعل اعضاءها من البشر بل من عالم ما فوق الطبيعة ليوهم بصدق الحكومة . فالعودة الى المثل لمتولين قد انتهوا من هذه الحياة هو امتداد بالحكومة حتى عصره . وحين يلتقى بتوابع الاحياء يكون لقاؤه لقاء المتهم المدافع عن نفسه فى هذه المحكمة ، فيدينهم ويدينوه .

ومحاولته استخدام الجن المبدعين المملثين لشعراء وكتاب ماتوا او ما زالوا على قيد الحياة انما يواجه عالم الشعراء كله ممثلا فيهم .

(١) الدميرى . المرجع السابق .

ولما كان ابن شهيد يعرف مسبقا نتيجة هذا الحكم — فهو صانعه — فانه بهذا العمل كان يسخر من نقاده ، سخرية مرة ، ويدينهم في عملهم وخلقهم وينتهي بذلك الى أن احدا من معاصريه ليس جديرا بالحكم له أو عليه فهم جميعا مدانون منه .

بدا ابن شهيد رسالته موجها حديثه الى ابي بكر يذكر فيها كلمة قالها عنه ، ساخرا من قدرته ، « فقلت كيف أوتي الحكم صبيا ، وهز بجزع نخلة الكلام فاساقط عليك رطبا جنيا ! » (١) وقد اداه ذلك الى الحكم على ابن شهيد بانه على علاقة بقوى ما وراء الطبيعة وهي الجن اذ ان ذلك في نظره « ليس في قدرة الانس ، ولا هذا النفس لهذه النفس » (٢) . وابن شهيد يبدا الرسالة بمدح نفسه وشعره بأن له قدرة ليست في مقدور نظرائه من الشعراء . وهو يعود بذلك الى أبيات قديمة معروفة لمثقفي عصره فهي متداولة في أكثر من مصدر ادبي سابق لابن شهيد ومعروفة له فانه استخدم اثنين ممن ذكرا هذه الابيات في رسالته ، وهما الجاحظ وبديع الزمان . وحديثه هذا كان مستمدا من الابيات ويقترب ان يكون شرحا لها :

اني وان كنت صغير السن
وكان في العين نبو عني
فان شيطاني كبير الجن
يذهب بي في الشعر كل فن (٣)

فالابيات منحته المدخل ليبدا رحلته في عالم الجن ،

---

(١) ابن شهيد ، المصدر السابق ، ص ١١٨ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر ، كتاب الحيوان ، تحقيق =

اذ لم ينكر ابن شهيد هذا القول بل اكده فى حواره مع صاحبه ابى بكر الذى وجه اليه الرسالة « فاما وقد قلتها ، ابا بكر فاصغ اسمعك العجب العجاب » (١) .

واخذ يتحدث عن ايام صباه وكيف در له العلم بمواد روحانية ثم قص عليه قصة حبيبه الذى مله ثم مات فانشد برثيه معتذرا . وكان ذلك نقطة التقائه بجنيه . والمؤلف يعود فى هذا الموقف الى مصدر سابق عليه معروف ايضا ليس لابن شهيد فقط بل لمثقفى عصره ايضا فهو منشور فى الاغانى ؛ يروى عن جرير ؛ فقد هجا سراقة البارقى جريرا ؛ وفضل عليه الفرزدق بقوله :

ان الفرزدق برزت اعـــراقه
سبقا وخلف فى الغبـــار جرير
ذهب الفرزدق بالفضائل والعـــلا
وابن المراغة مخلف محصـــور

فارسل بشر بن مروان القصيدة الى جرير مع رسول وقد امره الا يبرحه فى يومه ان لقيه نهارا او لقيه ليلا حتى يجيب عليهـــا ؛ فاخذ جرير القصيدة « ومكث ليلته يجتهد ان يقول شيئا ، فلا يمكنه ، فهتف

= عبد السلام هارون ، القاهرة :الباى ، سنة ١٩٦٧ ، جـ ٦ ، ص ٢٢٥ ، يوجد فقط الاسطر الثلاثة الاولى ، والهمدانى بديع الزمان ، مقامات ابى الفضل بديع الزمان الهمدانى ، شرح الشيخ محمد عبده المصرى ، بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، (د-ت) ، ص ١٤٥ ، وقد ذكر الثعالبى ابو منصور عبد الملك بن محمد ، ثمار القلوب ، القاهرة : مطبعة الظاهر ، سنة ١٩٠٨ ، ص ٣٦ .

(١) ابن شهيد ، المصدر السابق ،ص ١١٨ .

به صاحبه من الجن من زاوية البيت ، فقال له : « ازعمت انك تقول الشعر اما هو الا ان غبت عنك ليلة حتى لم تحسن أن تقول شيئا ! فهلا قلت :

يا بشر حق لوجهـــــك التبشير
هلا قضيت لنـا وانت امير (١)

نقل ابن شهيد هذه الصورة وقد اضاف اليهـــا الرتوش الملائمة حتى تتناسق مع عمله ، فانه بعـد ان أصابته حالة التوقف ، اذ بفارس بباب المجلس على فرس ادهم كما بقل وجهه ، قد اتكا على رمحه ، وصاح به صيحة تشبه صيحة جنى جرير « اعجزا يا فتى الانس » . وقد اقام بعد ذلك حوارا يتفق مع الشكل القصصي الذى اراده . فلقد رد عليه « لا وابيك للكلام احيان وهذا شأن الانسان » (٢) . ويفعل الجنى معه فعل جنى جرير مع صاحبه فيلقى عليه بيتا من الشعر تتمة للمعنى الذى توقف عنده . ويكون ذلك بداية تعارفه على جنيه زهير بن نمير الذى يعود نسبه الى قبيلة اشجع وهى نفس قبيلة ابن شهيد . ويتحدد فى هذا اللقاء العلاقة بينهما . ويعلمه زهير بالطريقة التى يمكن ان يستحضره بها متى أراد ، وذلك أن ينشد ابياتا من الشعر حددها له . والابيات تمثل تعزيمة او رقية مثل رقى الساحر حين يريد ان يحضر جنيه الى عالمه ليقوم بخدمته .

يذكر المؤلف ان الصحبة تأكدت بينهما ، وانه كلما

---

(١) ابوالفرج الاصبهانى ، على بن الحسين ، كتاب الاغانى ، القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، سنة ١٩٦٣ ، جـ ٨ ، ص ٦٩ .

(٢) ابن شهيد ، المصدر السابق ، ص ١١٩ .

ارتج عليه وانقطعت به المسالك ، ينشد الابيات فيحضر له زهير فيسير به الى ما يريد .

وهذا التعرف بين المؤلف وجنيه زهير قد امتد ليكون تعرفا من القارىء عليهما . وهذا يدفع الى ترقب تفصيلات الحدث القادم ، فلقد حدثت قصص كثيرة بينهما . ذكر المؤلف انه سيروى بعضها . وبهذا يكون التحول من المدخل الى الفصل الاول من الرسالة وهو توابع الشعراء طبيعيا وتلقائيا .

والرسالة منذ الفصل الاول حتى الفصل الاخير تصور رحلة الى عالم الجن . بداها باظهار رغبته فى لقاء التوابع والزوابع أصحاب الشعراء والخطباء من اصدقاء صاحبه زهير بن نمير ؛ فانصرف عنه صاحبه ليأخذ الاذن من شيخ الجن بالذهاب الى ارضهم . وعندما عاد زهير بالاذن بدات الرحلة .

والرحلة ليست نقلة الى مكان محدد فى ارض الجن وانما اتبعتها سفرات اخرى متعددة فهى مجموعة رحلات داخل ارض الجن .

بدات الرحلة بامتطاء ابن شهيد مع صاحبه زهير بن نمير جوادا . سار بهم كالطائر يجتاب الجو ويقطع الفلوات . وتستمر جميع سفراته فى ارض الجن على ظهر هذا الجواد .

وفكرة الجواد الطائر استمدها المؤلف من المعتقد الشعبى ، فهناك الحصان الطائر فى القصص الشعبى كما ان هناك البراق الذى حمل الرسول فى معراجه .

فجواد ابن شهيد من عالم ما فوق الطبيعة ، مثله فى

ذلك مثل الجن يملك قدرات ليست فى الجواد الارضى .

وهو لم يستخدم صورة الجواد السماوى المعروف فى المعتقدات الشعبية الاسلامية باسم البراق الذى حمل الرسول فى معراجه اذ ان ابن شهيد لم يرد أن يبتعد عن عالم الجن ومقابلته لعالم الانس ، فرسم حيوان الجن وطيوره بصورة لا تبعده عن موضوعه ، وتخدم الفكرة التى بنى عمله عليها . وانه اذا كان الجن متفوقين بقدراتهم الخارقة فكذلك جواد الانس . وقد مهد ذلك للصورة التى قدمها عن حيوان وطيور الجن . وهو لم ينقل الصورة المألوفة عن حيوان الجن فقد عرف الجن باستخدامهم الحشرات والوحش مطايا لهم واختصوا من بينها الظباء باهمية كبرى يجوبون بها البلاد ويدفعونها مهورا عند الزواج (١) . وابن شهيد لم يستخدم هذه الصورة وانما جعل حيوان وطيور الجن تلتقى مع حيوان الانس وطيوره فى الاسماء وان اختلفت فى القدرات فهى تتمايز عن حيوان وطيور الانس بقدرة كونية خارقة لها على التمتع بالادب ، وخلقه ، تتعامل مع الطبيعة تعامل الكائن الحى العاقل ليلون به الحس الساخر من مجتمعه ومن منافسيه .

لقد برزت البغال والحمير تتعارك من اجل اختلافهم فى الحكم على شعر بغلة وحمار . وهنا تظهر الاوزة لتأخذ دورها فى المعركة الادبية محتجة فتدين موقفهم من اتخاذ ابن شهيد حكما فى العمل الشعرى . وبهذا الموقف يكون المؤلف قد ساوق بين عمله وبين ما يريد

(١) أنظر . الجاحظ . المرجع السابق . ص ٤١٧ ، ٤٧٠ ـ ٤٧١ .

بهذه الاستخدامات المتقابلة لحيوان وطيـــور الجن مع حيوان وطيور الانس .

وهذه الصورة الدنيوية لا تلتقى مع الصورة المقدسة بعالم السماء ، لذا لم يكن ابن شهيد فى حاجة الى ان يخلط الدنيوى بالمقدس . واستخدام البراق هنا بديلا للجواد كان يمكن ان يكون خلطا لا يتسق مع عمل ابن شهيد . هذا فضلا عن أن ابن شهيد كان يدرك أن التهمة الاخلاقية الموجهة ضده من بين بعض خصومه قد تزداد اذا ما حاول أن يستخدم المقدس فى عمل دنيوى . وابن شهيد لم يكن يكتب عملا يرتبط بالدين والمعتقد ، وانما كان يكتب عملا يرتبط بالادب وبرؤيته له وموقف النقاد منه وموقفه منهم ، لذا فقد كان من الاوفق أن يتجه الى الدنيوى وان يكون معراجه الى عالم الجن وليس الى العالم السماوى وابن شهيد لم يقتحم العالم السماوى ، لانه لم يكن يأمن على نفسه الزلل فهو مع كل التهم التى وجهت له فى اخلاقه ومع بعض تصرفاته غير المقبولة من المتدينين كان على قدر كبير من الايمان بالله وكان على خشية منه فهو فى اخطائه يمثل الشخص السنى الذى يؤمن بالله ويعصيه وفى الوقت نفسه يطمع فى المغفرة . لقد كانت اشعاره فى آخريات أيامه توضح قوة ايمانه ويقينه فى الله وفى البعث ، وقد سجل ذلك فى وصيته وكان من بين هذه الوصية ان يكتب على لوح رخام « بسم الله الرحمن الرحيم . قل هو نبأ انتم عنه معرضون . هذا قبر احمد ابن عبد الملك بن شهيد المذنب ، مات وهو يشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وان الساعة آتية لا ريب فيهـــــا وان الله يبعث من فى القبور » (1) . ورجل مثله لم يكن ليجد حرية فى

(1) ابن بسام - المرجع السابق - ص ٣٣٣

الحديث عن العالم السماوى . وهذا ما يجده عند الحديث عن العالم الدنيوى ، عالم الجن .

ولقد برزت هذه الحرية فى الصورة التى رسمها للجن . فكما ان للانس أرضا فللجن ارض . وكما ان للانس جوا فكذلك للجن جو ، فهما هنا يلتقيان ولكنهما يختلفان فالارض لا تشبه أرض البشر ، والجو لا يشبه جو البشر .

ولقد خالف ابن شهيد الرؤية العامة لعالم الجن الوحش ، واقترب بصورة هذا العالم من عالم الانس على الرغم من قوله السابق انه مختلف عنه ، فهو مقابل لعالم الانس ، ولقد استمد صورته من عنصرين :

العنصر الاول : هو صورة الشعراء والكتاب واماكنهم .

والعنصر الثانى : هو صورة الطبيعة فى قرطبة نفسها .

وفى وقفته الاولى عند مسكن امرىء القيس استمدها من حياة امرىء القيس وشعره ، فاختار المكان قريبا لصورة ما ذكر عن يوم دارة جلجل . ولقد ذكرت كتب الادب القديم قصة هذا اليوم وافاضت فيه (1) . ورسمه ابن شهيد واديا من الاودية ذا دوح تتكسر اشجاره وتترنم اطياره » (2) . وفى وقفته الثانية عند طرفة نقل ابن شهيد صورة الواحة لتكون مسكنه ، فهى غيضة شجرها شجران :

---

(1) القرشى ، أبوزيد محمد بن الخطاب جمهرة اشعار العرب ، تحقيق محمد البجاوى القاهرة : دار نهضة مصر ، سنة ١٩٦٧ ، جـ ١ ، ص ١١٩ – ١٢١ .

(2) ابن شهيد ، المصدر السابق ص ١٢٢ .

سام يفوح بهارا ، وشجر يعبق هنديا ، وغارا . فرأينا عينا معينة تسيل ، ويدور ماؤها فلكيا ولا يحول » (١) .

وحين انتقل الى أبي تمام نقل جو الطبيعة الذى وصفه ابو تمـام فى شـــعره فمسكه « شجرة غيناء يتفجر من أصلها ماء كمقلة حوراء » (٢) .

وهو فى لقائه بالبحترى لم يزد عن ان ذكر قصر ابن مالك دون ان يجعله سكنا له وجعله فى الناورد .

وحين وصل الى ابى نواس وقف طويلا ليصور مكان اقامته ، وكان ان جعله دير حنة .

اما المتنبى فلم يلتق به فى مكان اقامته وانما التقى به فى ساعة من ساعات قنصه .

وتم لقاؤه بالكتاب فى مرج ، وتجاهل تماما تصوير المكان ، ويبدو انه لم يكن محتاجا الى ذلك ، اذ ان امثال هذه اللقاءات يكفى أن يذكر المكان بانه « ناد عظيم » (٣) و « مجلس من مجالس الجن » (٤) .

ولقد تغير ذلك حين تحدث عن حيوان وطيور الجن ، لقد كان موجزا ولكنه كان ينقل صورة الحياة فى قرطبة « فهو قرارة غناء تفتر عن بركة ماء » (٥) . وكانت هذه الصورة مدخله لتصوير حمير وبغال الجن . فانها تسبح فى بركة ، فيأخذ فى تصوير حركة هؤلاء الحمير والجن ، وهم فى حالة من الهياج يختصمون حول شعر حمار وبغل . وبعد أن انتهى من هذا الموقف عاد الى البركة

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .
(٢) ابن شهيد ، المصدر السابق ، ص ١٣١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٧٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ .

ليتحدث عن الاوزة وعن علاقتها بالحمير والبغـــــال والادب .

واذا كان ابن شهيد قد اســـتطاع ان يخلق عالم الجن متقابلا مع عالم الانس دون ان يتقيد بالاعتقادات الشائعة عن عالم الجن كما روتها كتب الادب وتصرف فيها ، فان علاقة الجن بالشعر كما روتها هذه الكتب كانت المـــادة التى بنى عليها اطار رسالته .

ذكر شوقى ضيف ان مقامة بديع الزمان الهمذانى الابليسـية « هي التى اوحت لابن شـــهيد فى الاندلس رحلته المشهورة في عالم ما وراء الطبيعة ، وهى الرحلة المعروفة باسم « التوابع والزوابع » (١) . وتابع شوقى ضيف اكثر من باحث (٢) .

وانه من الممكن قبول فكرة ان بديع الزمان الهمذانى قد أوحى لابن شهيد بتناول هذا الموضوع غير ان شوقى ضيف قد ذهب الى ابعد من هذا فذكر ان ابن شـــهيد عارض بديع الزمان فى مقامته الابليســية وانه استمد عمله مباشرة من البديع ومقاماته فلم يدخل الا تغييرات قليلة وتعديلات طفيفة (٣) . ولا شك أن ابن شهيد قد قرا بديع الزمان وتاثر به فى بعض رســائله كما تاثر بغيره من الكتاب السابقين له مثل الجـــاحظ وعبد الحميد الكاتب . وهو يعترف باستاذيتهم له فى رسالته (٤) . وكان تاثره بالهمذانى وبسجعه واضحا ، فقد كان السجع

(١) ضيف ، شوقى • المقامة • القاهرة : دار المعارف ، سنة ١٩٥٤ • ص ٣٦ •

(٢) ذكى ، يعقوب • المرجع السابق ص ٤٤

(٣) ضيف ، شوقى • المرجع السابق • ص ١٣٤ •

(٤) ابن شهيد • المصدر السابق • ص ١٥٨ ـ ١٦١ •

يمثل فى ذلك الوقت تيارا عاما سائدا بين الكتاب .
وطبيعى ان يكون ابن شهيد على علم بالمقامة الابليسية .
ولكن هذه المقامة ليس بينها وبين الرسالة علاقة اصيلة
الا فى كون بديع الزمان الهمذانى قدم البداية للكتاب
فى ادخال موضوع مطروق فى الادب الشعبى الى عالم
الادب الفصيح . من هنا يكون عمل بديع الزمان لا يمثل
نموذجا لابن شهيد يعارضه ، فالنموذج موجود وسابق
على بديع الزمان الهمذانى ، ويرتد الى المصادر الاصلية
التى استلهم واستقى منها الهمذانى مقامته (١) ولقد
استخدم ابن شهيد نفس المصادر التى استخدمها
الهمذانى وتخطاه وتخطى هذه المصادر بعمل متكامل ،
فان ابن شهيد لم ينقل عن هذه المصادر نقلا حرفيا
واكتفى بمعارضة الاطار المعروف بغير فى مضمون
الاحداث ، وهو فيما صنع لم يخرج عن المألوف فى هذه
القصص .

عرف ابن شهيد والمثقفون من معاصريه القصص التى
رويت فى كتاب الجاحظ « الحيوان » وكتاب الاصبهانى
« الاغانى » ، وكتاب القرشى « جمهرة اشعار العرب » ،
عن لقاء الشعراء بتوابعهم من الجن وعن اشخاص التقوا
« بهبيد صاحب عبيد بن الابرص » (٢) ، ولافظ بن لاحظ
صاحب امرىء القيس (٣) ومسحل السكران صاحب
الاعشى (٤) . كما عرفوا قصصا عن شعراء قد التقوا

---

(١) انظر الفصل الاول الخاص بالمقامة من هذا الكتاب .
(٢) القرشى . المرجع السابق . ص ٤٤ — ٤٥ .
(٣) المرجع نفسه . ص ٤٨ ، ٤٩ .
(٤) المرجع نفسه . ص ٤٦ ، ٤٧ ، والاصبهانى : المرجع السابق . ج ٩ . ص ١٥٦ .

بأصحابهم من الجن روى ذلك عن الاعشى (١)،وجرير(٢)، لذا لم يكن ابن شهيد يقدم شيئا جديدا على جمهوره حين تحدث عن لقائه بصاحبه الجنى زهير بن نمير .

قسم المؤلف الشعراء والكتاب الى قسمين :

قسم يقف منه موقف التلميذ المعترف لهم بالاستاذية والتفوق . وقسم آخر يقف منه موقف الند للند يحاول أن يبرهن على تفوقه عليهم . ولقد حكم له شعراء وكتاب القسم الاول بالتفوق وأجازوه شاعرا وكاتبا .

كان هؤلاء الشعراء والكتاب هم أصحاب امرىءالقيس وطرفة وقيس بن الخطيم وابى نواس والجاحظ وعبد الحميد . والقسم الثانى يقف منه موقف المنافس وهم ينقسمون أيضا الى قسمين : قسم يعترف له بالاستاذية مع وجود هذه المنافسة وهما البحترى وبديع الزمان .

والقسم الثانى وهم معاصروه يراهم دونه فى المرتبة الادبية ، وهم أصحاب ابى القاسم الافليلى وابى اسحاق الحمام وآخرون لم يذكر اسماءهم الحقيقية .

واستخدم ابن شهيد عند الحديث عن نقاد الجن مادة كانت موجودة بين يديه مجموعة فى الكتب المعروفة والمشهورة فى عصره مما ذكر فى جمهرة القرشى وأغانى الاصبهانى وموشح المرزبانى عن علاقة الجن بالنقد وبصرهم به .

يروى القزوينى قصة عن اعرابى ابق له غلام ، فخرج يقفو اثره ، وبينما يسير اذ وجد اربعة من الجن

---

(١) الالوسى . محمود شكرى . بلوغ الارب فى معرفة احوال العرب تحقيق محمد بهجت الاثرى . القاهرة : مكتبة محمد الطيب . سنة ١٣٤٢ هـ . جـ ٢ ، ص ٣٦٧ . ٣٦٨ .

(٢) الاصبهانى . المرجع السابق . جـ ٨ ، ص ٦٩ .

يختصمون فى شعر جرير والفرزدق (1) ومدون القصه وان كان متأخرا عن ابن شهيد الا ان الحدث الذى بنيت عليه القصة كان متواترا معروفا فى عصر ابن شهيد وقبل عصره .

ويذكر المرزبانى المتوفي سنة ٣٨٤ هـ أى بعد سنتين من ميلاد ابن شهيد رواية عن ابى عبيدة يتحدث فيها عن بصر الجن بالشعر ونقده ، فانه لما قال ذو الرمة :

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل
وبين النقا أأنت أم أم سالم
فعيناك عيناها وجيدك جيدها
ولونك لولا حمشة فى القوادم

اجابه جنى من حيث لا يراه ناقدا لشعره :

أأنت الذى شبهت ظبية قفرة
لها ذنب فوق استها أم سالم
وقرنان اما يعلقانك يتركا
بجنبيك يا غيلان مثل المباسم

وما حدث لذى الرمة حدث لنصيب وجرير والفرزدق اذ سمع كل منهم جنيا من حيث لا يراه يقوم بنقد بعض ابياته (٢) .

ولم تكن هذه المواقف بكافية ليبنى عليها ابن شهيد

---

(١) القزوينى ، زكريا بن محمد بن محمود ، عجائب المخلوقات ، على هامش الدميرى ، حياة الحيوان ، بيروت : مكتبة البيان ، سنة ١٣٠٩ هـ ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ .

(٢) المرزبانى ، ابوعبيد الله محمد بن عمران بن موسى ، الموشح ، تحقيق على محمد البجاوى ، القاهرة : دار نهضة مصر ، سنة ١٩٦٥ ، ص ٢٦٨ ــ ٢٦٩ .

الفصل الخاص بنقاد الجن ، فامتد الى صور المجالس الادبيه في العصر الجاهلي والاموى والعباسي . ولقد جمعت كثير من هذه القصص في كتب الادب العربي المتداولة في عصر ابن شهيد . ولعل اقدم صورة لهذه المجالس هي المجالس التي كانت تقام في سوق عكاظ . وقد روى أن النابغة كانت تضرب له « قبة حمراء من ادم في سوق عكاظ فتاتيه الشعراء فتعرض عليه اشعارها » (١) . وقد تطورت هذه المجالس لتاخذ مكانها في بلاط الامويين والعباسيين وقصور سراة المجتمع . وكان من اوضح صور هذه المجالس الادبية ، مجالس عبد الملك بن مروان وواليه الحجاج بن يوسف الثقفي ومن بعدهما مجالس خلفاء بنى امية وبنى العباس وولاتهم . اما مجالس السراة فكان اوضحها مجلس سكينة بنت الحسين التي كان يفد عليها الشعراء فتستقبلهم من وراء حجاب . زارها جرير والفرزدق وكثير عزة وجميل ونصيب . وقيل انهم مكثوا اياما ثم اذنت لهم فدخلوا حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم . واخرجت اليهم جارية قد روت الاشعار والاحاديث . نقلت هذه الجارية نقدسيدتها لبعض اشعارهم . وكما قامت السيدة سكينة بالنقد فانها وصلتهم جميعا (٢) .

ولم تتوقف هذه المجالس طوال عصور الادب العربي حتى عصر ابن شهيد وبعد عصره . ومن هنا فان تصويره لمجلس من مجالس الجن النقدية كان يمثل مقابلة لمجالس الانس . نقل فيه موقفا نقديا معروفا لمعاصريه.

---

(١) ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم ، الشعر والشعراء ، بيروت : دار الثقافة ، سنة ١٩٦٤ ، جـ ١ ، ص ١٠١.

(٢) المرزباني ، المرجع السابق ، ص ٢٦٣ - ٢٦٦ .

ويمثل فى نفس الوقت وجهة نظره فى الشعر ، فيقول « حضرت انا وزهير مجلسا من مجالس الجن فتذاكرنا ما تعاورته الشعراء من المعانى ومن زاد فاحسن الاخذ ومن قصر » (١) . وفى هذا المجلس قامت الموازنات بين ابيات للأفوه ، والنابغة ، وابى نواس ، وصريع الغوانى وابى تمام عن تصوير الطيور التى تتبع الجيش ، فكان راى احد نقاد الجن ان الشعراء جميعا قصروا عن قـــــول النابغة :

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم
عصائب طير تهتدى بعصـــائب (٢)

وقد ذكر ابن قتيبة انه ياخذ عليه وعلى البيت الذى يليه :

جوانح قـــــد ايقن ان قبيـــــله
اذا ما التقى الجمعـــان اول غالب

انه « جعل الطير يعلم الغالب من المغلوب قبل التقاء الجمعين والطير قد تتبع العساكر القتلى ولكنها لا تعلم ايها يغلب » (٣) . وهذا النقد يمثل رؤية عقلانية ، اذ ان الاسباب التى ادت الى عدم استحسان البيت هى نفسها الاسباب التى جعلت من البيت متميزا ومتفردا فى تصوير بطولة الممدوح اذ انه من القوة لدرجة ان الطير تعرف ذلك ، لذا فهى تتبعه مطمئنة الى انه سيطعمها من جماجم الاعداء ، وحاول كثير من الشعراء استعارة هذا المعنى . وقد عرف ابن شهيد ذلك ، وقد ادرك قيمة هذا البيت ، فرآه يتفوق على جميع الذين تناولوا هذا المعنى باستثناء المتنبى فى بيته :

---

(١) ابن شهيد ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) ابن قتيبة ، المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

له عسـكرا خيل وطير اذا رمى
به عسكرا لم تبق الا جمـاجمه (١)

اتخذ ابن شهيد مواقف متعـارضة عن مواقف ابن قتيبة معتمدا على ذوقه ورؤيته للحياة . ذكر ابن قتيبة انه يعاب على امرىء القيس تصريحه بالزنا والدبيب الى حرم الناس ، والشـعراء تتوقى ذلك فى الشعر وان فعلته ، قال :

سموت اليهـا بعد ما نام اهلهـا
سمو حباب الماء حالا على حال (٢)

خالف ابن شهيد ابن قتيبة فى رايه هذا وذلك فى حديثه مع احد النقاد والشعراء حين ساله عن « اى معنى سبقك فيه غيرك ، فوجدته حين رمته صعبا عليك الا انك نفقت فيه » فذكر له أبياتا من تاليفه مستعارة من بيت امرىء القيس .

ولمـا تملا من سـكره
فنام ونامت عيون العسس (٣)

وكثير من شعر ابن شهيد فى الرسالة يكون مرفوضا بمقاييس ابن قتيبة ، فابن شهيد يقف موقف المعارض للموقف العقلى والاخلاقى فى الشعر . وهو فى موقفه النقدى هذا كان يستخدمه ليدافع عن نفسه وعن شعره حتى أمام النقاد السابقين له .

---

(١) ابن شهيد ، المصدر السابق ، ص ١٨١ .
(٢) ابن قتيبة ، المرجع السابق ، ص ٧٢ .
(٣) ابن شهيد ، المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

وهناك قضية هامة تختص بمصادر رسالة التوابع والزوابع قد اثارها احمد ضيف ، فهو يرى ان ابن شهيد قد تأثر برسالة الغفران لابى العلاء المعرى (١) . وقد كتبت رسالة الغفران فى ٤٢٤ هـ (٢) . وقد تابعه فى ذلك عبد المنعم خفاجى (٣) ومعنى ذلك ان رسالة التوابع قد كتبت بعد سنة ٤٢٤ هـ .

ولقد اختلف الباحثون فى تاريخ هذه الرسالة ولكن النظر الى روح الرسالة ومشاعر ابن شهيد فيها يمكن ان يلقى ضوءا على هذا التاريخ .

ولقد ذكر « بلا » انه كتبها عام ٤٠٠ او ٤٠١ هـ (٤) معتمدا فى ذلك على تحديده لشخصية من ارسلت له الرسالة ، فقد تصور انه ابو بكر بن حزم اخو ابى محمد على بن حزم الذى توفى سنة ٤٠١ هـ . ولما كان كثير من الاشعار الواردة فى الرسالة ترجع الى تاريخ متأخر عن هذا التاريخ فقد فسر ذلك بان ابن شهيد « اتم الرواية قبل سنة ٤٠١ هـ ثم اضاف اليها نصوصا جديدة او اضافها اصدقاؤه ، وليس هذا الامر بعجيب لان المؤلفين والكتاب العرب قد عودونا عليه اذ نراهم يهذبون وينقحون مؤلفاتهم ويزيدون عليها » (٥) .

---

(١) ضيف ، احمد . المرجع السابق . ص ٤٨ .

(٢) ابو العلاء المعرى . رسالة الغفران . تحقيق بنت الشاطىء . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٠ . ص ٤٤٢ .

(٣) خفاجى . المرجع السابق .

(٤) بلا . المرجع السابق . ص ٣٦ .

(٥) المرجع نفسه . ص ٦٧ .

وهذا القول مجانب للصواب لاسباب ثلاثة : اولاها ان ابا بكر بن حزم المذكور في الرسالة ليس باخي علي بن حزم المتوفي في عام ٤٠١ هـ . فهو شخص اخر غيره (١) . والامر الثاني ان شخصية ابن شهيد ليست من شخصيه اولئك الكتاب الذين يمحون ويراجعوا ما كتبوا ، فهو يعتمد على الطبع ويفتخر به ورسالته كلها فخر بقدرته الفنية ، وانه منح عقل الطبيعه (٢) ، فهو مشهور بانه من اصحاب البديهه والقدره على الارتجال ، فليس ابن شهيد عالما يقف مع ما يكتب موقف الباحث ينقح ويصحح . نعد كتب ما كتب وهذا فخره . كما لم يعرف أن هناك أحدا من اصدقائه اعتدى على عمله بالتهذيب والتنقيح باستثناء ابن بسام وانما حبا ق اجزاء من الرسالة ليس بهدف التنقيح وانما حبا في الاختصار ومنعا للاطالة ، فهو قد قدم اجزاء من الرسالة ليوضح قدرة الكاتب لا ليشوه عمله ، ولا اظن انه كان يتصور أن يضيع هذا العمل ويصبح كتابه المصدر الوحيد الذي احتفظ بالرسالة . والامر الثالث ان ابن شهيد في عام ٤٠١ هـ لم يكن لديه الدافع ليكتبها فان الحياة كانت ممتدة امامه ، فهو في هذا العالم لم يبلغ العشرين من عمره اذ انه من مواليد سنة ٣٨٢ هـ . والرسالة حصيلة تجربة مع الحياة وخبرة بالناس وبالعالم المحيط به فلم يكن ابن التاسعة عشرة ليقف مفاخرا ائمة الادب في قرطبة بهذه السهولة اذ ليس لديه مبرر يدفعه الى ذلك ، هذا فضلا عن ان كل ما يطمع اليه ابن هذه السن ان يعترف به الكبار

(١) الحميدي . المرجع السابق . ص ٣٥١ .
(٢) ابن شهيد . المصدر السابق . ص ٢٠٩ .

من ادباء عصره واحدا منهم وليس قمة عليهم . وعلى كل فالرسالة توضح ان ابن شهيد قد اكتمل شاعرا واديبا ورجلا من رجالات قرطبة يعرف انه قمة ادباء عصره .

ويذكر بروكلمان فى كتابه تاريخ المسلمين انها كتبت قبل رسالة الغفران بعشرين سنة (١) ، ولما كان المعرى قد كتب رسالته سنة ٤٢٤ هـ ، فيكون تاليف الرسالة فى نظره هو عام ٤٠٤ هـ . ولسنا فى حاجة الى مراجعة بروكلمان ومناقشته اذ انه عاد فصحح هذا التاريخ فى كتابه تاريخ الادب العربى وجعله « حوالى ٤٢١ هـ » (٢) وذكر كلمة حوالى توضح انه لم يكن على يقين من هذا التحديد فهو لم يبين سببا لتحديده الاول او الثانى .

ويحدد زكى مبارك للرسالة تاريخا فيما بين سنتى ٤٠٤ — ٤٠٧ هـ (٣) ، ولم يوضح ايضا اسباب هـذا التحديد بينما يذكر البستانى لها تاريخا وهو ٤١٤ معتمدا على احداث حـدثت فى هـذا التاريخ (٤) وذكرت فى الرسالة ولا يقف احمد هيكل عنـد هـذا التـاريخ بل يتخطاه ليجعله عام ٤١٥ هـ (٥) دون أن يبين سببا لذلك

---

(١) Brockelmann, C. History of the Islamic People. Trans. Joel Carmichael and Moshe Perlman. New York : 1960, p. 116.

(٢) بروكلمان . تاريخ الادب العربى . ترجمة رمضان عبد التواب ويعقوب بكر . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٥ . جـ ٥ ص ١٢٢ .

(٣) مبارك . المرجع السابق . جـ ١ ص ٢٥٩ .

(٤) ابن شهيد . المقدمة . المرجع السابق . ص ٩١ — ٩٥ .

(٥) هيكل . المرجع السابق . ص ٤٢٣ .

ويحددها مونرو فيما بين عامي ١٠٢٥–١٠٢٦ م (١) ، اي مدة حكم الحموديين الاخيرة لقرطبة فيما بين ٤١٦ – ٤١٧ ، معتمداً في ذلك على ان ابن شهيد قد كشف عن نزوع نحو الحموديين (٢) .

واذا كان مونرو قد حدد تاريخ الرسالة لرؤيته لنزوع في الرسالة الى الحموديين فان ذلك لا يحددها بتاريخ ٤١٦ – ٤١٧ ، وهي اسوأ فترات الحكم الحمودي في قرطبة وكان يمكن ان يكون في اي فترة اخرى من حكمهم لقرطبة السابق لهذا التاريخ .

يرى يعقوب زكي تحديداً آخر لها وهو في المدة ما بين عام ٤١٦ – ٤٢٠ هـ معتمداً في ذلك على ان ابن شهيد اقتبس ابياتاً من مرثيته في ابي عبدة حسان ابن مالك المتوفى عام ٤١٦ هـ . ولم يبين لماذا امتد هذا التاريخ الى سنة ٤٢٠ هـ .

والحقيقة ان ابن شهيد لم يكتب هذه الرسالة ابان حكم الحموديين وانما كتبها في المدة ما بين خروج الحموديين من قرطبة ١٠ من ربيع الاول ومبايعة هشام لخمس بقين في ربيع الآخر سنة ٤١٨ وهي مدة دخول مجاهد وخيران العامريين (٣) ، ووصول الوزير ابي جعفر بن عباس الى قرطبة . لقد تم لقاء بين هذا الوزير وبين ابن شهيد اهين فيه بشكل يجعل الرسالة تصدر صدرا مباشرا من هذا الموقف ، فهو يسمي الرسالة « شجرة الفكاهة » ، اذ ان الاحداث التي مرت به ومرت

---

(١) Monroe, J.T. Op. Cit., p. 16.

(٢) زكي ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٣) ابن عذارى ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

بقرطبة تجعل المجال مفتوحا للسخرية لما يحدث في عالمه، فالمثير موجود والاستجابة هنا شجرة الفكاهة او رسالة التوابع والزوابع . وكان ذلك اكبر اساءة يساء بها ابن شهيد ان يهان في قدرته فهجاه ، ولكنى لا اظن ان هذا الموقف قد مر دون تاثير على نفسية ابن شهيد المعجبة الحساسة لكل ما يصدر عنها من ابداع . ومن هنا كان الوقت مهيـــــــــأ ليرد ابن شـــــــــهيد لا على ابى جعفر بن عباس فقط بل على كل نقاده واذا لم يكن ابن عباس من اهل الحسب ، وليس له تاريخ يمكن ان يفاخر به ابن شهيد او اهل قرطبة فانه تصرف تصرفات ادت بابن بسام الى ان يتهمه بالجهل والغرور . فالمقارنة بين اسرة ابن شهيد وبين اسرة عباس تدعو ابن شهيد الى الغضب فابن عباس يحجب كبيرهم الشيخ ابا عمر ابن ابى عبدة من غير عذر وما عرف والده الا بخدمة ابن عمه (1) . ومن هنا ليس غريبا على ابن شهيد ان يضع جميع حساده او من تصورهم حساده في سلة واحدة يهاجمها من خلال توابع الجن الذين لم يقرنهم بشخصيات محددة ليترك للقارىء حرية التصور .

وقد نقل صورة هذا اللقاء بابن عباس في حديثه مع الجني فرعون فقد ساله ان يعطيـــــه كلاما يرعى قلاع الفصاحة وان يضعه على اى معنى والا ينزل عن مستوى كلام المتنبي . وهنا ياخذ ابن شهيد في الفخر بنفسه وباسرته .

---

(1) ابن بسام ، المرجع الســابق ، القسم الاول ، جـ ٢ ، ص ٦٦٥ ـ ٦٦٦ .

لقد استدعى ابن شهيد للقاء هذا الوزير وكان قد حضره قسيم من شعره وهو يسال اجازته ، ويذكر ابن شهيد أن الحناطى قال .. « وكان كثير الانحاء على ، جالبا فى المحافل ما يسوء الاولياء الى أن الوزير حضره قسيم من شعره . وهو يسألنا اجازته . فعلمت أنى المراد ، فاستنشدته فانشده ، وهو :

مرض الجفون ولثغة فى المنطق

فقلت لمن حضر ! لا تجهدوا انفسكم فلستم المراد ، فاخذت القلم وكتبت بديهة :

مرض الجفون ولثغة فى المنطق
سببان جرا عشق من لم يعشق (١)

وقد علم ابن شـــهيد انه لم يرض ما جاءوا به على البديهة يصور ذلك فى لقائه مع الجنى فرعون ابن الجون الذى لم ينل احد من نقاده احتقاره مثلما ناله هذا الجنى وصاحبه فهو لم يصفه بالادب او العلم وانمـــــا وصفه بانه تابعة رجل كبير منهم . وحين يفتخر عليه ابن شهيد باسرته وابداعاتها الشعرية يظهره بصورة رجل من غير أبناء الاسر العريقة فى قرطبة فانه لم يجد ما يفاخر به ابن شهيد ، لذا فانه قل واضمحل حتى ان الخنفساء لتدوسه فلا يشغل رجليها هذا الرجل هو الوحيد الذى ذكر انه يحقق فيه دون بقيـــــة الجن ويرميه بسهام نافذة (٢) وحين انتقل الى حيوان وطيـــور الجن القى بسخريته على الوزراء الذين رآهم لا يزيدون عن كونهم لبغلة أبى عيسى سيد أبى جعفر ابن عباس زهير الصقلبى

(١) ابن بسام ، المرجع السابق ، ص ٣٠٧ .
(٢) ابن شهيد ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ ـ ٢٠١ .

فهما من اخوان بقلة ابي عيسى الذين رآهم ابن شهيد قد بلغوا الامارة وانتهوا الى الوزارة (١) لقد اتاحت له البقلة الفرصة للتعرض لاعدائه جميعا لكي يضعهم . لم يشر اليهم انه يضعهم جميعا مع ابن عباس في سـلة واحدة ، فهو حين يرسم الاوزة المعجبة بنفسها بغير حق كان يرسم أبا جعفر وأمثاله ممن امتلأ بهم عالم الادب في الاندلس في ذلك الوقت فهم يقتنون الكتب دون أن يمنحوا عقل الطبيعة فهو لا يفيدهم بشيء ، فان رءوسهم محشـــوة هـواء ، ويصبح ادعاء منهم المناقشة في الادب (٢) .

ان فترة وجود هذا الوزير واسياده في قرطبة كانت ملائمة ليكتب فيها ابن شهيد هجائية من نوع جديد على الادب العربي .

---

(١) المصدر نفسه . ص ٢٠٥ .
(٢) ابن شهيد . المصدر السابق . ٢٠٩ .

الباب الثانى :

فى الشعر

الفصل الاول :

قصـــــيدة
الحكم بن عمرو البهرانى

يتناول هذا الفصل بالدراسة قصيدة الحكم بن عمرو البهرانى . وهى قصيدة كانت الاسطورة موضوعها كما كان الجن وعلاقتها بالخلق الفنى احد العناصر المكونة لبنائها .

لقد تحدث كثير من الشعراء عن اســــطورة الجن وعلاقتهم بالانسان . يتبدى فى بعضـــــها ان هؤلاء الشعراء يؤمنون بما يقولون او انهم يعلمون ان جمهورهم يؤمن به ولقد روى الجـاحظ عن ابى نواس انه خرج يطلب اعرابيا فصيحا فساله « هل القنفذ يحمل الجنى أم الجنى يحمل القنفـــذ . قال : هـذا من تـكاذيب الاعراب » (١) وانشده شعرا فى قنفذ ويربوع رآهمـا ليلة يلتمسان الرزق وقد ربط بينهما وبين الجن فساله ان قال غير هذا الشعر فانشده :

ازاه سميعا للسرار كقنفـــذ
لقد ضاع سر الله يا أم معبد

(١) الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة : البابى الحلبى ، سنة ١٩٦٧ ، ص ٢٤٠

وبرى هذا الاعرابى ان هذا الشعر اصدق شيء قاله لزوجته (١) . ولقد كانت قصيدة الحكم بن عمرو البهرانى اكمل قصيدة تحدثت عن الاعتقادات فى الجن وعلاقتهم بالانسان . عالج فيها اكثر من موضوع . لذا القت القصيدة الضوء على كثير من اساطير الاعراب وايماناتهم بقوى ما وراء الطبيعة .

ولم يكن البهرانى يؤمن بشيء مما يقول فالقصيدة تهدف لوظيفة محددة . لقد كان الحكم البهرانى يسجل اداناته فى عصره لمظالم الحكام . وقد اختار منهم فئة الماكسين فلم يهجم على طريقة الهجاء فى عصره من ذم اخلاقهم وتصرفاتهم وانما هجاهم بصورة ارتبطت بالقوى الكونية فان لعنة الله عليهم مسختهم ضباعا وذئابا ، فان هذه الحيوانات فى حقيقة الامر لم تكن الا اولئك الماكسين الظالمين .

فى قصيدة من واحد واربعين بيتا سجل سخطه على الظالمين وسخر منهم كما سخر من نفسه . والبهرانى شاعر مجهول « انى بنى العنبر بالبادية على ان العنبر من بهراء فنفوه من البادية الى الحاضرة وكان يتفقه ويفتى فتيا الاعراب وكان مكفوفا عدمليا » (٢) . هذا كل ما يعرف عنه . ويبدو ان الرجل كان ساخرا ساخطا الى حد كبير حتى ان بنى العنبر نفوه من البادية ولا اظن ان هذا النفى كان لسبب دينى .

ولقد استخدم فى قصيدته بداية منطقية تجعل

---

(١) المرجع نفسه ٠ ٢٤٠ – ٢٤١ ٠
(٢) الجاحظ ٠ المرجع السابق ص ٨٠ ٠

ما يقول يبدو كالحقيقة . فان الله قادر على صنع كل شيء لا مفر من ارادته .

ان ربي لمـــا يشاء قـدير
ما لشيء أراده من مفـــر (١)

ثم انتقل بعد ذلك ليرى قدرة الله فهو مسخ الماكسين ضبعا وذئبا وقامت بينهما علاقة جنسية كان من نتيجتها ان تناسلا على ما بينهما من خلاف فلا تجمعهما رابطة غير هذه الرابطة .

وتحدث بعد ذلك عن قـــدرة الله التي بعثت الذر والجراد ليهلك به اممــــا ظالمة ، وتبع ذلك ارســاله الطاعون . ومن قدرة الله ايضا ان فارة خرقت سد العرم ليكون ذلك آية على عظمته وعبرة لمن يعتبر ولو ان اهل مارب ارادوا ان يوقفوا ذلك بكل قوتهم ما استطاعوا . بعد ذلك عاد البهـــراني الى الماكسين ليقـــول ان الله سبحانه وتعالى مسخ الضب وسهيلا وكان مشارين احدهما في الارض والآخر في السماء .

والبهراني لم يخترع ايا من هذه القصص فهو ينقل الاساطير المعروفة لدى العرب في العصر الجـــاهلي والتي عاشت بين الاعراب حتى العصر الاسلامي ، وان كان بعض هذه القصص اسلاميا . كقصة ســد مارب فهناك من يظن ان فارة هي التي هدته . وكذلك كان العرب يؤمنون بان الله اهلك بالذر امما وقد سجل ذلك امية ابن ابي الصلت في شعره .

---

(١) المرجع نفسه .

ارسل الذر والجـراد عليهم
وسنينا فأهلكتهم ومـــورا
ذكـــر الذر انه يفعل الشر
وان الجراد كان ثبـــورا (١)

كما كان الاعراب يقولون « ان الله قد مسخ كل صاحب مكس وجابي خراج واتاوة اذا كان ظالمـا ، وانه مسخ ماكسين احدهما ذئبا والآخر ضبعا » (٢). واسطورة مسخ العشارين لم تتوقف عند هذا الحد بل هي متسعة تصل الى الكون لتربط الارض والسماء برباط فهم يعتقـدون « ان الضب وسهيلا كانا ماكسين عشارين فمسخ الله احدهما في الارض والآخر في السماء (٣) . والبهراني في الحقيقة شاعر ملتزم ربط نفسه بفكرة العـــدل وتناول في هذا الجانب الاسطورة الكونية المرتبطةبالعدالة ارتباطا وثيقا ، فالانسان في ايماناته بالقوى العلوية لم يفصل الايمان بها على الايمان بواقعه الاجتماعي فأولئك الذين يقومون على جمع الضرائب هم ممثلون لسلطة دنيوية صارمة يحسنون استخدامهـا لمصلحتهم وكثيرا ما كانت اساءة هذه السلطة تتحول الى عنت على الاهالي. لقد عرفت الجزيرة العربية هؤلاء العشارين. وحين لا يكون هناك حاكم عادل يفرض سلطتهويعجزالانسانعنمواجهته فانه يتجه الى القوة الكونية العليا لتنصفه من ظالميه

---

(١) المرجع نفسه ، ص ١٥٠ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٤١٦ .
(٣) الجاحظ - المرجع نفسه - ص ١٥٥

فالمسخ لون من الوان العقاب الموجه الى الظالمين وهـذا اللون من العقاب الكونى ممتد فى الزمن . اذ الانسان يعتقد ان المسخوط حيوان يحس ويشعر فهو يعيش فى جلد الحيوان لا يستطيع منه فكاكا . ولقد ربط المسخ بموقف اسلامى آخر وهو اللعنة فى الحياة الدنيا والعذاب الشديد فى الآخرة .

واستخدم لذلك شخصية ابى رغال الذى وجهه النبى صالح على صدقات الاموال فخالف امره واساء السيرة فقتل ، ولم يتوقف الامر عند قتله وانما تعداه الى ان أصبح الناس يرجمون قبره اذا اتوا مكة فابو رغال تحول الى صورة ابليس . فالظلم موقف مرفوض من الانسان ومن هنا التزمت العقائد المرتبطة بالكون بالموقف الاخلاقى فالايمان وحده لا يكفى وانما يجب ان يتصل به الالتزام الاخلاقى ، فابو رغال هنا هو المثل لهـؤلاء العشارين . فرجم قبر ابى رغال هو رجم لكل العشارين والماكسين الظالمين .

مسخ الضب فى الجـــدالة قدما
وسهيل السماء عمـــدا بصفر
والذى كان يكتنى برغـــال
جعل الله قبـــره شر قبـــر
وكذا كل ذى ســـفين وخرج
ومكوس وكان صـــاحب عشر (١)

وانتقل بعد ذلك الى الحديث عن نفســه وعلاقته بالفولة . هذا الانتقال ليس عفويا وفيما يبدو أراد أن

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٨١

يخفف من حدة نقده للمشارين فهو لم يكن صاحب قوة يستطيع ان يواجههم بها . هذا الانتقال اتخذ شكل السخرية مع ارتباطه بالقوى الكونية العليا . ولكن هذا الارتباط مختلف تماما عن حديثه الاول ، ففى الجزء الاول كان يربط العدل بالقوى العليا ويجعل الظلم نتيجة عادلة يعاقب بها الله الظالمين . فالعلاقة متبادلة بين الله والانسان ، فالله يريد العدل وحين يريد الانسان الظلام فلابد من العقاب فى الارض والعقاب فى السماء ، فالضب مثل للعقاب فى الارض وسهيل مثل للعقاب فى السماء فضلا عن الجحيم الابدى للظالمين . لقد كان البهرانى يدين الظلم فى عصره كله ، اذ ان الظلم يقف مضادا للمقدس .

اما حديثه عن نفسه فهو يعود الى قوى كونية غير مقدسة ارتبطت بالدنيوى او الدنس وهو عالم الجن . وليس جميع الجن يرتبطون بالدنس وان ارتبطوا بالدنيوى . فهم جميعا عالم مقابل لعالم الانسان مسئولون كالانسان . فيهم الخير والشرير . ولهم القدرة على كسر الحاجز بينهم وبين الانسان . وحين يكسر هذا الحاجز الجنى ويرتبط مع الانسان برباط جنسى فانه يصبح دنسا .

والبهرانى يستخدم الصورة التى كان يعتقدها الاعراب فى عصره ويرسم صورة لهذه الجنية فجعلها غولا . « وهى اسم لكل شىء من الجن يعرض للسفار ويتلون فى ضروب الصور والثياب ذكرا كان او انثى الا انه انثى على الاكثر » (1) .

يحكى البهرانى قصة تظهر وكانما ترجمة ذاتية . بداها

(1) المرجع نفسه ، ص ١٥٨ .

بالحديث عن زواجـــــه من غول ، وانه دفع لهـــــا صداقا غزالا وزقا من الخمر . وهي تتلون له كما يريدها فهي مرة ثيب ومرة بكر . وهي من عائلة من عائلات الجن المعروفين للانسان فهي ابنة عمرو شـــــيطان المخبل السعدى والفرزدق وخالها مسحل تابع الاعشى .

وتزوجت في الشبيبة غــــــولا
كغـــزالا وصـــــدقتي زق خمر
ثيب ان هويت ذلك منهـــــــا
ومتى شئت لم اجـــد غير بـــكر
بنت عمرو خالها مسحل الخيــر
وخالي هميم صـــاحب عمرو (١)

والبهراني ينقل صورة لمعتقدات معروفة ولا يستحدث شيئا وكل ما يصنعه انه يربط هذا الاعتقاد به مباشرة فالعلاقة الجنسية بين الانس والجن معروفة لدى العرب حتى ان بعض الروايات العربية تجعل من ام ملكة سبأ جنية (٢) . وهذا الاعتقـــاد لم يتوقف في ريف مصر وصعيدها فما زالت هناك قصة تروى ان جدة العبايدة غول تركت زوجها ومضت . وهم يفسرون الحدة في طباعهم ويردونها الى الغول . كما ان هناك احاديث كثيرة عن غيـــاب بعض الرجال وخطف الجن لهم او علاقات زوجية بين رجال ما زالوا يعيشون وتسمى هذه العلاقة « معاشرة » ولعل اهم القصص التي سجلت عن العلاقات الجنسية بين العرب والجن مختصة بالغول هو ما قيل من ان عمرو بن يربوع « تزوج الغول وأولدها بنين ومكثت

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٨١ .
(٢) ابن كثير ، جـ ٢ ، ص ٢١ .

عنده دهرا فكانت تقول اذا لاح البرق من جهة بلادى وجهة كذا فاستره عنى فان لم تستره عنى تركت ولدك عليك وطرت الى بلاد قومى ، فكان عمرو بن يربوع كلما برق البرق غطى وجهها بردائه » (١) . فغفل عمرو بن يربوع عنها ليلة وقد لمع فلم يستر وجهها فطارت وقالت وهى تطير :

امسك بنيـــك عمرو انى آبق
برق على أرض السعالى آلق (٢)

وقد ارتبط ذلك التاريخ الاسطورى بآل عمرو فدعوا بنى السعلاة حتى انهم كانوا يهجون بذلك (٣) .

لقد تم الزواج بين البهرانى والغـــول وكما تصور الانسان عالم الجن عالما مقابلا لعالمه له تقاليده المقاربة لتقاليد الانس وان اختلفت التفاصيل فلابد للزواج من مهر ، فكذلك الجن ارتبطوا بهذا التقليد فهم أيضا يدفعون مهرا . ومهر الغول يتفق وطبيعة الجن مركب من مراكبهم وهو الغزال والخمر المرتبطة بالدنيوى والدنس فى العقيدة الاسلامية يكون جزءا من مهرها . والجاحظ يذكر ان الخمر كانت مهرها « لطيب الرائحة » فربما كان الجن يستخدمون الخمر استخداما مختلفا عن اســـتخدام الانس . فما كان دنسا للانسان هو فى المقـــابل عطر للجن .

---

(١) الالوسى . محمود شكرى . بلوغ الارب فى معرفة احوال العرب . تحقيق محمد بهجت الاثرى . القاهرة : مكتبة محمد الطيب ، سنة ١٣٤٣ هـ ج ٢ ، ص ٣٤١ ، ٣٤٢ .
(٢) المرجع نفسه .
(٣) الجاحظ . المرجع السابق . ص ١٦١ .

ولقد اعتقد ان الغول تتلون ، وقد قال كعب بن زهير:

فمــــا تدوم على حال تكون بها
كما تلون في أثوابها الغــول (١)

« ويقال تغولت المرأة اذا تلونت » (٢) . وهناك احاديث كثيرة عن الغول واعتقادات العرب فيها وهناك احاديث تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم تذكر فيهــــــا الغيلان (٣) والبهراني لم يتحدث عن شكلها الجسماني وانما تحدث عن شيء يمثل تشوقا ذاتيا ذكره بوعي منه، وهو قدرتها على تحقيق الاشـــباع الجنسي ، فتتلون له الغول بالصورة التي ترضي رغباته الحسية فهي تتشكل حسب اشتهائه ثيبا ان اراد وعذراء ان رغب فهي طوع تشوقه الجنسي .

ولتكمل الصورة يجعل لها هذا النسب بأولئك الجن المبدعين . ادى ربطه لهذه الغول بعمرو ومــسحل بالجاحظ الى ان يعرض لذلك المعتقــد عن شعراء الجن فيسجل اول صورة مجموعة متكاملة عن الاعتقاد فيهم كمصـــدر لابداع الشعر العربي القديم .

دفع البهراني الى ربطها بعمرو ومــسحل القرابة التي تربطه بالفرزدق فهو يشير الى انه خاله في قوله و « خالي هميم صاحب عمرو » فكما ارتبط الفرزدق بعمرو فهــو ايضا مرتبط بالفرزدق . وشكل هذا الانتساب يجعــل

---

(١) ابوزكريا يحيى بن علي الخطيب · شرح قصيدة كعب بن زهير في مدح النبي صلى الله عليه وسلم · تحقيق ف · كرنكو · بيروت : دار الكتاب الجديد ، سنة ١٩٧١ · ص ١٦ ·

(٢) الدميري · الشيخ كمال الدين · حياة الحيوان الكبرى · القاهرة : المطبعة الخيرية ، سنة ١٣٠٦ · جـ ٢ ، ص ١٦٧ ·

(٣) المرجع نفسه · ص ١٦٨ ·

قرابته من الفرزدق مباشرة وان لم يكن سهلا ان تحقق هذه القرابة هل هي قرابة مباشرة ام انها قرابة تجمعه بالفرزدق عن طريق النسب ؟ والاجابة عن هذا السؤال صعبة فالرجل كما قلنا من قبل غير معروف التاريخ . وهو بالتاكيد يذكر ذلك على سبيل الفخر .

اخذ البهراني بعد ذلك يعدد ممتلكات زوجته الغول بارض وبار المعروفة بانها ارض الجن . وهي ارض لم يصل اليها انسان متعمدا او غالطا « الا حثوا في وجهه التراب فان ابي خبلوه وربما قتلوه » (١) . يملك البهراني في هذه الارض التي عدت مثلا في الضلال الابل الحوشية التي اعتقد العرب أنها التي ضربت فيها ابل الجن فكما يتصل عالم الجن بعالم الانسان فان حيوانهم يتصـــل بعالم الانسان ايضا .

ارض حـــــوش وجامل مكنان
وعـــــروج من المؤبل دثر (٢)

وصور هذه الغول امرأة من عالم الجن ، وميز نساء ذلك العالم بانهن غر زهر نفيت عنهن صفات العفاريت من استراقهن للسمع . وهن ياكلن طعاما خاصا تتمشى الغول ذا البساطة وتفطر روث الحمار في الفجر . وانتهى الامر بقتلها واستخدم الشـــاعر الفعل المبني للمجهـــول ضربت دون أن يذكر لنفسه دورا في هذا القتل وان كان متبديا انه صانع هذا . اما كيف قتلت فهو يذكر انهـــا :

ضربت فردة فصارت هبـــــاء
في محاق القمير آخر شهر (٣)

---

(١) الجاحظ . المرجع السابق . ص ٢١٥ .
(٢) المرجع نفسه . ص ٨٦ .
(٣) المرجع نفسه . ص ١٣٣ .

واستخدم هنا المعتقد الشعبي في عصره « بان الغول اذا ضربت ضربة ماتت الا ان يعيد عليها الضارب قبل ان تقضي مرة اخرى وقد ذكر ابو البلاد الطهوى انه انتحى للغول بحسامه فخرت صريعـــــة فطلبت منه ان يزيد فرفض :

فقالت زد ، فقلت رويدا انى
على امثالها ثبت الجنـــــان (١)

والى هنا يصبح التساؤل ضروريا لماذا تحدث عن هذه الغول ؟ وقص قصته معها ؟ وهل كان الرجل بلا هدف فيما قصه .

ليس من السهل تقبل ان يكتب فنان عملا بلا هدف . فالعمل الفني وراءه موقف هو الدافع لكتابته وقد نوافق او لا نوافق عليه . فان العقل البشرى يعمل بدينمكية خاصة . وانه من خلال موقف الفنان تحدد وظيفة العمل الفنى .

واذا كان البهراني قد تحدث بشجاعة عن الماكسين وعمال الخراج فانه لا يمكن ان تكون قصته هذه صادرة عن فراغ

يذكر الجـــــاحظ ان الاعراب تؤمن بكل ما جاء في القصيدة (٢) . ولكن من الواضح انه لا يؤمن بشيء مما قال فهو رجل على بعض المعرفة ويمكن ان يكون في البادية التى عاش فيها مثلا للعـــــالم المرتبط بحدود المكان اى لا يوضع بجوار علماء عصره وانما يوضع مع اصحاب

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٣٤ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٨٠ .

المعرفة فى بيئته ممن لهم موقف متقـــــدم اذا قورن بمعاصريهم .

هذه ظاهرة عامة يمكن ان تنطبق على رجالات الريف المصرى كما يمكن ايضا ان تنطبق على سكان البادية . واذا كان الجاحظ يدينه بانه يفتى فتيـــا الاعراب فان ذلك لا ينفى عنه علمه باوليات المعرفة لمن هم فى مكانه من حفظ القرآن ومعرفة الحديث . وبالتالى عدم ايمانه بكل ما قاله . فضلا عن ان المثقف العربى العادى كان يعرف ان الغول هو ثالث المستحيلات .

الغول والخل والعنقـــاء ثالثة
اسماء اشياء لم توجد ولم تكن (١)

يضاف الى ذلك الجانب الشخصى الذى ذكره لو انه رواه عن شخص آخر لظن انه يصدقه ولكن بمـــا انه يتحدث عن نفسه وعلاقته بالغول فهو يعلم انه يخترع ولا يريد احدا ان يصدقه فى هذا الموضوع بشكل حرفى وانما ان يتقبلوا ما ذكر مرتبطا بواقعه الشخصى فلا شك انه يعرض واقعه ويسخر منه . فهــذه الغول مقـابلة لزوجته . وهذا الرسم للغول هو تصوير لزوجتـــــه ولعاله . وما يؤكد ذلك انه عاد يتحدث عن اولادها فهى قد خلفت له تســـعة منهم مزاحم بكريه وعبدل الذى يصوره بثمال اليتامى :

تركت عبدلا ثمـــال اليتامى
واخـــوه مزاحم كان بكرى

---

(١) الدميرى . المرجع السابق . ص ١٧٠ .

وضعت تسـعة وكانت نزورا
من نساء فى اهلهـا غير نزر (١)

وواضح ان حديثه عن اهل زوجته الغول انما كان يغمز به اهل زوجته فهو يرى ان ابنـــاءه قد اخذوا صفاتها او بمعنى آخر صفات اخـــوالهم ففيهم بعض طبائع الانس ولكن اصول اخوالهم تظهر بشكل واضح فيهم فالنجار صورة الجن ، وهو يريد ان يقـول ان محاسنهم ترتد اليه اما مساوئهم فترتد الى اصـــول امهم .

غلبتنى على النجـــابة عرسى
بعد ان طال فى النجابة ذكـــرى
وارى فيهم شـــــمائل انس
غير ان النجار صـــورة عفر (٢)

انتقل بعد ذلك ليتحدث عن حياته مع الجن فهـو يركب مراكبهم ويعيش حياتهم يجوب البـلاد فوق ظبى يتحول بالليل الى جنى .

ويبدو ان البهرانى كان يعيش وحيدا منفردا لم يكن يشعر بالانس للناس . وليس ادل على ذلك من انه نفى من البادية فأراد ان يقول ان عالمه هو عالم الجن فهـو مغترب عن عالم الانسان لا مكان له بينهم فاذا كان عالم الانسان ضاق به ففى عالم الجن متسع له .

---

(١) الجاحظ . المرجع السابق . ص ٨٣ .
(٢) المرجع نفسه . ص ٨ ـ ٨٣ .

وسجل ما آلت اليه حياته فبعد ان كان غنيا اصبح فقيرا .

ثم اصبحت بعـــد خفض ولهـــو
مدنفا مفردا محالف عسر (١)

ويحاول ان يحدد الشاعر اسباب تعاسته وذلك انه واجه اعداء اقوياء اختار عداوتهم . فهو استخدم لفظـة مقت من عداوة الديك اى انه يكره حرب الضعيف وانه يواجه الاقوياء المهابين بكل قوته .

اتراني مقت من ذبحي الديك وعاديت من اهاب بصقر (٢)

وينهي قصيدته نهاية طبيعية فهو بدا بالهجوم على هؤلاء الاقوياء وانتهى مصورا حالته . وهذه الحالة تظهر نتيجة لما يصنعه ، فهو يقول :

وسمعت النقيق فى ظلمـــة الليل
فجاوبته بسر وجهـــــــر (٣)

وواضح انه يصور حركة اعـدائه ضـــده بالنقيق ، ويصور قوته بعدم صمته عليهم فجـــــاوبهم فى السر والعلانية فكانت مواجهته لا تهدأ ثم انتهى به الامر الى ان يلقى فى الجحيم جهارا فلقد كان اعداؤه اقوياء تحددوا بأصحاب السلطة وممالئيهم .

وانتهى الشاعر كما بدأ بالحديث عن قدرة الله الى

(١) المرجع نفسه - ص ٨٤ .
(٢) المرجع نفسه .
(٣) المرجع نفسه .

الحديث عن طلب الرحمة منه فيظهر بمظهر من لا يطلب من أحد شيئا سوى الله الذى يعود اليه بالتوبة .

فلعل الاله يرحم ضـــــعفى
ويرى كبرتى ويقبل عـــذرى (١)

نجح البهرانى فى ان يقدم قصة حياته مرتبطة بواقعه الاجتماعى . ربط هذا الواقع بالقوة الكونية فكان جادا وســـــاخرا فى حديثه عن الماكسين وربطهم بالسخط الالهى .

وكان جادا وساخرا ايضا حين ربط حياته بعـــالم الجن . كثف الصـــورة تكثيفا دقيقا ، واستخدم علمه بالمعتقدات الشعبية التى كان بلا شك على علم كبير بها .

ولم ينل الشاعر وقصيدته اهتمـــــاما من الناقدين باستثناء الجاحظ الذى لم ينظر اليها الا لتخدم هدفه وهو الحديث عن الحيوان وان أدله الى أن يتطرق لاحاديث اخرى عن الجن وعالمهم وعن علاقتهم بالانسان والشعراء. اما قيمة القصيدة الفنية من حيث علاقتها بعالم الشاعر وحياته فهذا لم يتعرض له احد بالمرة بما فيهم الجاحظ الذى توقف عن الحديث عن القصيدة عنـــد آخر بيت تحدث فيه البهرانى عن حيوان الجن . واغفل الجانب الذاتى فى آخر قصيدته مع اهميته فى كشف وظيفـــة العمل الشعرى ، فالجـــــاحظ لم يكن يحترم الرجل ولا عقيدته .

دفع عدم الاهتمام بالقصيدة لان ينحصر الموضـــوع بعيدا عن الادب الرسمى ويدخل دائرة الادب الشعبى ،

---

(١) المرجع نفسه .

فالحديث عن الخلق الفنى والشعر لم يتنـــاول تناولا فنيا ، وكذلك الحديث عن الجن . والجاحظ علق على قصيدة ابى البلاد الطهوى التى يتحدث فيها عن الغـول بانه « كان من شياطين الاعراب وهو كما ترى يكذب وهو يعلم ويطيل الكذب ويجيزه » (١) . والجاحظ هنا يضم هذا اللون من الابداع بانه كذب وان صاحبه كذاب فهو لا ياخذ جانب الابداع الفنى كموضوع قابل للنقـــــد والمناقشة ، بالرغم من ان قصيدة ابى البـلاد الطهوى منسوبة الى تابط شرا اى انهـــا منسوبة الى العصر الجاهلى .

ولا اظن ان حكم الجاحظ حكم فردى وانمـا يمثل اتجاها عاما فى عصره . هذا الاتجاه قتل هذا اللون من الابداع فلم يظهر حتى اخريات القرن الرابع والربع الاول من الخامس فى الاعمال النثرية لبديع الزمان الهمذانى وابن شهيد وابى العلاء المعرى . اما فى الشعر فلم يظهر عمل شعرى يستخدم موضوع الجن والخلق الشعرى حتى كتب شوقى مسرحيته مجنون ليلى .

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٣٥ .

الفصل الثاني :

مسرحية
مجنون ليلى لأحمد شوقي

منذ ان ادخل شوقي الى المسرح العربي اداة جديدة وهى الشعر فان دراسة هذا المسرح لم تتوقف ، وقد تعدت هذه الدراسات محاولة الوقوف عند دراسه النصوص المسرحية وعرضها او الاداء الشعرى وكيفية مطاوعته لفن المسرح الى الحديث عن علاقة مسرح شوقى بالتراث العربي . وتاثير المذاهب الغربية من كلاسيكية ورومانسية وواقعية على هذا المسرح .

وهذا الفصل لا يشغل بما يقال عن شوقي الا في حدود مسرحية مجنون ليلى . وان كان ما قيل عنها يمثل في الحقيقة صورة لما يكتب عن مسرح شوقى .

كان شوقي ضيف من اكثر الدارسين اقتصادا عند الحديث عن تاثر شوقى بالمذاهب المسرحية الغربية فهو يرى أن شوقى قد تاثر بالمذهب الكلاسيكي والرومانسي، فمن تاثره بالكلاسيكية اختيار شخصياته من النجوم التاريخية ، واعتداده بلغة بليغة ليس فيها شيء من العبارات اليومية المبتذلة . وليس ذلك كل ما جاءه من المدرسة الكلاسيكية ، فقد اخذ عنها اعتداده بعاطفة

الحب فى كل مآسيه ، فهى تتوهج فيهــــا وتشتعل اشتعالا واضحا ، ولعل ذلك ما دفعــه الى ان يخصها بروايته : « مجنون ليلى » (١) .

ويظهر تأثره الواضح بالكلاسيكية فى ان مآسيه تخلو غالبا من تمثيل الحوادث فلا تشاهد على المسرح وانمــا يعرف ذلك من كلام الممثلين (٢) .

ويرى شوقى ضيف انه يستقل عن الكلاسيكية ويتصل بالرومانسية فى عدم تقيــده بوحــدة الزمان والمكان والموضوع .

ولم تتوقف مجاراة احمد شوقى الرومانسية عند هذا الحد فى رأى شوقى ضيف وانما جاراهم وجارى شكسبير ايضا فى ادخال عناصر فكاهية فى مآسية (٣) .

ويقارن محمود حامد شوكت بين شوقى وشكسبير فيرى انه « لا تظهر فى شخصياته تلك الخاصية التى تجدها فى روميو وجولييت لشكسبير من حيث نوعية التشخيص والتحليل بحيث تنفذ الى ما وراء النوع من فرد خاص ، فتلمس فيه كائنا حيا كالكائنات التى تعيش بيننا وتحتفظ بانسانيتها فى كل عصر . وأين قيس من ذلك الشاب الخيالي الذى احب فى اول حياته لمجرد الفكرة ، حتى استقرت عواطفه فجاة حول جولييت ، الفتاة الساذجة التى تهوى فجاة ، وتحب حبا بسيطا ساذجا عنيفا ــ ابن عدو بيتها ــ وأين تلك الصفة النوعية

---

(١) ضيف ، شوقى . شوقى شاعر العصر الحديث . القاهرة : دار المعارف ، سنة ١٩٦٣ . ص ١٧٦ .

(٢) المرجع نفسه . ص ١٧٧ .

(٣) المرجع نفسه .

التي تجدها في باريس من منازل ، لقد شغل شوقي عن هذا العمق في التحليل والتعقيـــد الفني بالانصراف الى الشعر ، غير مدرك لهذه الآفاق الواسعة البعيـــــــدة المدلول » (١) .

ويناقش محمد مندور شوقي مقارنا بين مسرحه وبين المسرح الـكلاسيكي الفرنسي ومسرح شكسبير فيرى انه « لم ينجح النجاح الكامل في استغلال عنصر الصراع الذي استغلته التراجيديا الـــكلاسيكية عند الفرنسيين فوصلت الى قمـــــة الدراما والتاثير المسرحي » (٢) ، ويخص مندور كورني في هذه المقارنة فيرى أن شوقي لا يصور النفس البشرية ويتعمقها تعمق كورني (٣) .

ويقارن مندور بين شوقي في مسرحية مجنون ليلى وشكسبير في مسرحيته روميو وجوليت ، فينتهي الى أن « شوقي الشاعر الغنائي الموهوب كان لسوء الحظ لا يملك شيئا مما تميز به شكسبير من نفـــاذ البصيرة وتحليق الخيال ، كما أن حصيلته من الثقافة الانسـانية العامة كانت ضحلة ، ولذلك لم يستطع أن يعيد خلق أسطورة روميو وجوليت ، بل نراه يتقيد في مسرحيته بالكثير من التفاصيل التافهة او الخرافية التي يرويهـــا صاحب الاغاني » (٤) .

ولقد سار غنيمي هلال أبعد من ذلك فهو يراه متأثرا

---

(١) شوكت ، محمود حامد شوكت ، المسرحية في شعر شـــوقي ، القاهرة : دار الفكر العربي ، سنة ١٩٤٧ ، ص ٨٤ .

(٢) مندور ، محمد ، مسرحيات شوقي ، القاهرة : مطبعة مصر ، سنة ١٩٥٦ ، ص ٥٠ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤١ ، ٢ .

بالمذاهب الكلاسيكية والرومانسية والواقعية ، وان اول مظهر من مظاهر تأثر شـــوقى بالـكلاسيكية هو نظم المسرحيات ، والمظهر الثانى هو التزامه بقاعدة وحـدة الزمان والمكان وان لم يراع الدقة فى تصوير البعد النفسى كما هو الحال عند الكلاسيكيين (١) .

أما مفهـوم الصراع فى المسرحية الـكلاسيكية وهو انتصار الواجب على العاطفة ، فانه كان ظاهريا ، اذ تظل العاطفة هى المتحكمة فى مصير البطلين . لقد وفت ليلى لعاطفتها وهذا الوفاء فى نظره كان من تأثير الرومانسـية عليه (٢) .

أما الواقعية فيظهر تأثيرها فى المسرحية من حيث « ان الواقعيين كانوا يرون أن يلتزم المؤلف بحقائق التاريخ ووقائعه لا يحيد عنها ولا يتصرف فيهـــا الا بترتيبها وعرضها الفنى ، بحيث تصور الماضى تصويرا يشف عن اتجاهاته الحقيقية التى يقصد الكاتب الى بعثها تبعا لمـا يرمى اليه من أهداف اجتماعية » (٣) ويعود غنيمى هلال بعد ذلك ليقرر ان حظ الواقعية فى انتاجه ضئيل وانه لم يتعمق هذا المذهب وأن تأثره به كان نتيجـــة اطلاع سطحى (٤) .

وسار وراء هذا الاتجـــاه كثير من الباحثين ، ممن تناولوا المسرحية ، مما أدى الى تشابه فى الاحكام عليها .

---

(١) هلال ، غنيمى . دور الادب المقارن . القاهرة : معهد الدراسات العربية العالية ، سنة ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ . ٥٤ ، ٥٦ .
(٢) المرجع نفسه . ص ٥٧ ، ٦٤ .
(٣) المرجع نفسه . ص ٥٠ .
(٤) المرجع نفسه . ص ٥٢ .

وانه لمن الخير اعادة قراءة المسرحية من خلال معرفة ثلاثة اشياء . الاول وهو رؤية المسرح المصرى حتى كتابة مسرحية مجنون ليلى . والثانى مصادر مسرحية مجنون ليلى . والثالث وهو الاطار الكونى فى مسرحية مجنون ليلى . فقد يساعد توضيح هذه الجوانب على رؤية المسرحية بمنظار جديد .

— ٢ —

ليس من السهل فصل ثقافة شوقى المسرحية عن ثقافة عصره ، فلا شك ان ثقافة اى عصر تظهر من خلال ابنائه . لقد اطلع شوقى على المسرح الغربى ولكنه اطلاع لم ينفرد به عن ابناء جيله ، اذ انه كان مرتبطا بمفهوم العصر للمسرح . وليس من السهل ان يكون لشوقى مفهوم مخالف لمفهوم العصر ، فشوقى لم يبدا كتابته للمسرح من العدم ولكنه وجد تقاليد سابقة عليه واضاف اليها تجديده ، وهو استخدام الشعر اداة للمسرح .

ولقد ارتبطت حياة شوقى بتاريخ المسرح ارتباطا وثيقا اذ ولد المسرح مع مولده . اختلفت المصادر فى تحديد ميلاد شوقى ولكن هذا الخلاف لا يغير من هذه الحقيقة شيئا . فالسنوات التى حدثت لمولده ارتبطت ارتباطا كبيرا باحداث هامة فى تاريخ ميلاد المسرح المصرى وهى

سنة ١٨٦٨ (١) وسنة ١٨٦٩ (٢) وسنة ١٨٧٠ (٣) .

ولقد انشيء في عام ١٨٦٨ مسرح الازبكية اول بناء مسرحي في مصر . وفي عام ١٨٦٩ افتتحت دار الاوبرا لتستقبل اول فرقة مسرحية اجنبية لتمثل اوبرا ريجوليتو التي لحنها فردي .

ولم يكن غريبا ان يكون اول عمل عربي يقدم على دار الاوبرا المصريه عملا مسرحيا غنائيا . فهذا الشكل ملائم للفنون الادائية المصرية في ذلك الوقت . فالعالم العربي لم يكن خاليا من الفنون الادائية التي تمثل بعض اشكال المسرح في صورته الاولية .

كان خيال الظل يتمتع بشعبية كبيرة بين جميع طبقات الشعب المصري وكذلك فن الاراجوز بموضوعاته الكوميدية المحددة المعالم وقام بدور في عملية النقد الاجتماعي . وفن السيرة يلعب دورا هاما في الحياة الفنية الشعبية . فهو يؤدي عن طريق الاداء التمثيلي والغنائي فمغني السيرة كان ممثلا مغنيا .

وفن الغناء في ذلك الوقت فن متميز له جمهوره العريض وقد كان للعامة مغنوهم كما كان للخاصة مغنوهم وان طفا على السطح اصوات مغنين صارت لهم شعبية بين جميع الطبقات .

لذا فان تمثيل اوبرا ريجوليتو يمثل ارضاء للذوق

---

(١) احمد شوقي . الشوقيات المجهولة . تحقيق محمد صبري . بيروت : دار المسيرة ، ١٩٧٦ . ج ١ ص ٥ ، مكي ، الطاهر احمد . الشعر العربي المعاصر . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٠ . ص ١١٣ ، الموسوعة العربية الميسرة . اشراف شفيق غربال . القاهرة : دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، ١٩٦٠ . ص ١١٠١ .

(٢) ضيف . المرجع السابق . ص ٩ .

(٣) وادي ، طه . شعر شوقي الغنائي والمسرحي . القاهرة . دار المعارف ١٩٨١ ص ١٥٣ .

الغربي المتمثل فى ضيوف مصر الذين قدموا الى مصر للاحتفال بافتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ . كما انه يمثل ايضا ارضاء لذوق المصريين الذين شاهدوا هذا العرض ، وبالرغم من انهم الصفوة الا انهم من ابناء هذا التراث . وقد شجعوا الفرق الاجنبية التى وفدت الى مصر تباعا دون توقف فى دار الاوبرا . وكانت الحكومة المصرية تنفق عليها ببذخ . كما كان الجمهور يقدم لها الكثير من المنح والهدايا .

وتعد هذه الفرق من اكبر الفرق الفرنسية والايطالية وشاهدت مصر اكبر ممثلى فرنسا يقدمون عروضهم وكان من بينهم سارة برنار وكوكلان من اعمدة التمثيل الفرنسى (١) .

ولما كان رجال البلاط الملكى من اهم رواد هذه الفرق فانه لا يشك فى أن احمد شوقى شاهد بعض هذه العروض مع اسرته وتعرف على ما يقدمون قبل سفره الى اوربا سنة ١٨٨٩ .

اما عام ١٨٧٠ فقد شهد اهم حدث فى تاريخ المسرح المصرى . فقد كون يعقوب صنوع اول فرقة مسرحية ارتبطت ارتباطا كبيرا بالفنون الادائية والقصصية الساخرة . فكان مسرحا كوميديا .

لم يستمر مسرح صنوع طويلا واصبح ميدان المسرح

---

(١) Al-Haggagi, A. Sh. The Origins of Arabic Theater. Cairo : General Egyptian Book Organization, 1981, p.p. 63 - 96.

خاليا الا من الفرق الاجنبية حتى ١٨٧٦ حين وفدت فرقة سليم النقاش الى مصر . وقدوم هذه الفرقة لم يكن بلا تمهيد سابق فقد كان الجمهور المصرى بعد توقف فرقة يعقوب مهيأ لتقبل هذه الفرقة . ومع ان المصريين تلقوها بالترحاب اذ كتبت عنها صحيفة الاهرام (١) ونوهت باعمالها الا ان سليم النقاش تركها واشتغل بالصحافة . وتولى الفرقة من بعده سنة ١٨٧٧ يوسف خياط . وانشق عنه القرداحي ليكون فرقة مسرحية سنة ١٨٨٢ (٢) وهذا الانشقاق لا يمثل نكسة للفرقة وانما معناه ان دائرته اتسعت حتى ليمكن ان يتقبل فرقة جديدة ويؤكد ذلك قدوم فرقة القبانى لتكون الفرقة الثالثة التى تعمل على مسارح القاهرة سنة ١٨٨٤ (٣) التى صادفت نجاحا كبيرا . وكان شوقى فى ذلك الوقت فى اخريات دراسته فى المرحلة الثانوية . ولم يكن شوقى شخصا عاديا بل كان فنانا شاعرا ظهرت قدراته الشعرية مبكرة . وما كان لشاب فنان فى مقتبل العمر ان يغفل عن هذا التيار الفنى الذى يتحرك من حوله . وكان قادرا وهو ابن الارستقراطية على متابعة هذا النشاط المسرحى من الفرق المسرحية الاجنبية الوافدة والفرق المسرحية العربية .

ولقد قدمت الفرق المسرحية فى ذلك الوقت مجموعة

---

(١) الاهرام • العدد ٢٤ فى ١٣ـ١ـ١٦٧٧ •

(٢) الاهرام • العدد ١٣٤٢ فى ١٠ـ٣ـ١٨٨٢ ••

(٣) الاهرام • العدد ١٩٧٤ فى ٢٣ـ٦ـ١٨٨٤ •

من المسرحيات المقتبسة والمؤلفة ، التى لم تخرج فيهـا عن الاطار العـام للحكاية الشـعبية ، فصـناع المسرح المصرى كانوا يترجمون ويؤلفون بنفس الطريقة فهم يصنعون عملا بالشكل القصصى المعروف والمستقبل بالنسبة للمصريين .

ولا يمكن دراسة هذا الشكل تحت اى شكل مذهبى سواء أكان الكلاسـيكية ام الرومانسية فاذا ظهر فى مسرحية غلبة الواجب على العاطفة فليس هذا من تأثير الكلاسيكية . واذا تغلبت العاطفة على الواجب فى مسرحية فليس هذا ايضا من تأثير الرومانسية . فهذه مؤثرات من الحكاية الشعبية التى اختلطت فيها المواقف فقد تتغلب العاطفة وقد يتغلب الواجب ، المهم هو النهاية وكيفية تحرك الاحداث التى تحددها الحكاية الشعبية .

ولقـد قام المسرح المصرى فى ذلك الوقت بعملية مسرحة للحكاية الشعبية ولاحداث التـاريخ ، فقـدمت مسرحيات عن قصص « انس الجليس » و « نفح الربى » و « عفة المحبين او ولادة » و « عنتر » و «الامير محمود» و « زهر الرياض » و « الشـيخ وضاح ومصباح » و « قوت الارواح » و « المروءة والوفاء » و « المعتمد بن عباد » و «اللقاء المانوس فى حرب البسوس» و «السموءل» او « وفاء العرب » و « مهلهل سيد ربيعة » و « الرشيد والبرامكة » .

ولم يكن فى هذه المسرحيات اضافات تزيد عما فى النصوص الشعبية . وكان هناك شكل محدد فى عملية كتابة المسرحية يمثله خير تمثيل ابو خليل القبانى (١) فهو

(١) ابوخليل القبانى ، احمد . المسرح العربى دراسات ونصوص . اختيار وتقديم محمد يوسف نجم . بيروت : دار الثقافة ، (د.ت) .

في المسرحيات التي قدمها كان ياخذ الحكاية الشعبية فيقسمها حسب تغير الامكنة الى فصول ولا يغير من الموقف القصصي غير الجمل التي تصف موقفا ويستخدم نفس الحوار في الحكاية ليكون حوارا للمسرحية . والاضافة التي يضيفها على الحكاية هي الغناء فكما كان الشعر والنثر يختلطان في الحكاية الشعبية فكذلك كانت المسرحية يختلط في حوارها النثر والشعر . وكان القباني يلحن هذا الشعر ويغنيه .

عاش شوقي تجربة المسرح معيشة كاملة وحين سافر الى اوربا لم يذهب ليدرسه وانما ليدرس القانون ولم يتوفر توفرا كاملا على دراسته وانما كان يتعامل معه تعامل الهواة .

وما كان له ان يتخلص من رؤيته للمسرح بالصورة التي عرفها في مصر ، فاذا ما شاهد شوقي المسرح الكلاسيكي او الرومانسي الفرنسيين ، او مسرح شكسبير فانه لا يراه بعيدا عن صورة المسرح في مصر المرتبط بالحكاية الشعبية والقصص التاريخي . ولقد كتب أولى مسرحياته على بك الكبير ابان بعثته في فرنسا (١٨٨٩ ــ ١٨٣٩) وارسلها الى الخديو توفيق الذى لم يرحب باتجاه شاعره للكتابة المسرحية .

وكتابة شوقي مسرحية عن على بك الكبير هو ثمرة تاثيرات المسرح المصرى عليه فقد كان يتحرك في دائرته ودائرة الادب الشعبي ورواية التاريخ . وربطها محمد صبرى في تعليقه عليها بمسرحيات نجيب الحداد التي مثلها سلامة حجازى (١) ، ومع ان سلامة حجازى لم يكن

---

(١) احمد شوقي . المرجع السابق . ص ٦٣ .

قد احترف التمثيل فى ذلك الوقت الا ان ربط المسرحية بمسرحيات نجيب الحداد امر طبيعى ويؤكد ان شوقى وهو فى اوربا كان مرتبطا بواقع المسرح المصرى اكثر من ارتباطه بواقع المسرح الاوربى .

ومنذ عودة شوقى حتى كتابته لمسرحية مجنون ليلى تطور المسرح المصرى تطورا كبيرا .

لقد كان اتجاه القبانى مؤثرا وفعالا فى المسرح المصرى قبيل سفر شوقى وبعد سفره انشق اسكندر فرح عنه سنة ١٨٩٠ مكونا فرقة تعد فى غاية الاهمية فى تاريخ المسرح المصرى . حافظت على اتجاه القبانى وجعلت له الصدارة فى عالم المسرح . وساعد على بقاء هذا الاتجاه سلامة حجازى الذى عمل مغنيا فى الفرقة ثم ممثلا بعد عودة شوقى من اوربا حتى كون لنفسه فرقة خاصة به سنة ١٩٠٥ (١) .

وسار سلامة حجازى فى طريق القبانى مقـــــدما المسرحية الشعبية والتاريخية ومســـتخدما الغناء كجزء اساسى فى عروض فرقته المسرحية .

وحاولت فرقة سلامة حجازى وفرقة اسكندر فرح ان تقدما المسرحية العصرية ولكن غلب اتجاه الميلودرام على هذه المسرحيات . وكان هذا الاتجـــــاه اقرب الى السيرة الشعبية بمغامراتها المتزاحمة . فالمسرح حتى هذه المرحلة لم يقبل الا ما هو متوافق مع المزاج الثقافى للانسان المصرى وطريقته فى القص .

---

(١) الاهرام ، العدد ٨٢٠٤ فى ٢ــ٣ــ١٩٠٥ .

وولدت في هذه الفترة فرق مسرحية كانت تذهب الى الاقاليم لتعرض التمثيليات المستمدة من التاريخ والادب الشعبي كما كانت تقدم مسرحيات كوميدية متطورة عن فن الاراجوز وطبيعي ان تختلف مقومات المسرح في فن الاراجوز فقد استبدلت الشخوص بالعرائس واستخدم العرض الامكانات التي اتاحها المسرح الحديث له .

في هذه الفترة لم يكن المسرح يتطور ذاتيا وانما كان هناك كتاب حاولوا ان يقدموا النظريات الغربية لهذا الفن . ساهمت كتاباتهم في خلق مناخ صحي حوله وعملت على ابرازه للجمهور كفن راق كما ساهمت في خلق حركة ترجمة لنصوص مسرحية اقرب الى الاصل اختيرت لقربها من الروح المصرية .

لم تكن هذه الترجمة تمثل اتجاها فنيا واحدا وانما قدمت الكلاسيكية جنبا الى جنب مع المسرحية الرومانسية فقدمت مسرحية السيد لكورني ومسرحيتي أفيجيني واندروماك لراسين كما قدمت مسرحيات شكسبير هاملت وعطيل وروميو وجولييت ومسرحية هرناني لفكتور هيجو ، وهي مسرحيات قريبة الى روح القص الشعبي . لذا تقبلها الجمهور دون أن ينظر الى المذاهب التي صدرت عنها .

ولقد حاول عزيز عيد وسليمان القرداحي ان يطورا اعمال الفرق الكوميدية الجوالة بانشاء فرقة مسرحية كوميدية تقدم ترجمات للمسرحيات الكوميدية الفرنسية الرفيعة ولكن هذه المحاولة لم تستمر واقفل المسرح . في هذا العام بدأ شوقي يكتب مسرحية شعرية من نوع

---

(١) المقطم - العدد ٥٦٩ - ٧ من سبتمبر ١٩٠٧ .

الكوميديا الاخلاقية ولكنه لم يتمهـــا فى ذلك الوقت ، وربما يرجع توقفه عن اتمامها الى فشل هذا المسرح اذ لم يكن ذلك مشجعا له على الانتهاء منها .

ولقد اخر ظهـــور اول مسرحية اجتماعية مصرية زمنا ولم يتم لهـا ان تظهر الا حين انشا جورج ابيض فرقته المسرحية لتمثل باللغة العربية سنة ١٩١٢ (١) .

تعد فرقة جـورج ابيض بداية جـــديدة للمسرح الحديث ، فهو اول عربى درس المسرح دراسة علمية . اهتمت به الدولة اهتماما كبيرا ، فبعث من قبل الحكومة المصرية ليدرس المسرح فى فرنســا (٢) . وحين عاد فتحت له دار الاوبرا ليقدم عروضه التمثيلية على مسرحها فقدم ثلاث مسرحيات من عيون المسرح العـــالمى . هى اوديب ولويس الحادى عشر وعطيل . وهى مسرحيات لا تمثل مذهبا واحدا من المذاهب المسرحية .

والحقيقة ان هنـــاك وحدة تربط هذه المسرحيات بالنسبة لجمهور المسرح المصرى هى أنها مسرحيات ذات أبطال يقاربون أبطال الحكايات والسير الشعبية وكان ذلك مصدر اعجابهم بها .

ولقد ادرك احد النقاد من معاصرى هذه الفترة هذه العلاقة فتحدث عن اعجاب الجمهور بمسرحية الاحدب وارجعه الى المتشـــــابهة بينها وبين القصص العربية الشـــعبية التى « اطـربت وما تزال تطرب الشعب المصرى (٣) .

كان موسم مسرح ابيض فى سنة ١٩١٢ موســـــما

(١) الرقيب . العدد ٢٠ فى ٢ من ابريل سنة ١٩١٢ .
(٢) الاهرام . العدد ٧٩٧٣ . ١١ من يونيو سنة ١٩٠٤ .
(٣) المقطم . العدد . فى ٥-١٠-١٩١٢ .

مشهودا فقــد احتفلت به معظم الصحف المصرية ورأى فيه القوميون المصريون ميلاد نهضـــة فنية حاولوا ان يشجعوها ويسجلوا لهـــا دورها . واقترن حدث هام بظهور هذه الفرقة وهو اشتراك عبد الرحمن رشــدى المحامى احد ابناء الارستقراطية المصرية فيها وكان ذلك كسر للفواصل التى تفصل بين الفن وبين الطبقات العليا للمجتمع وايذانا بانه لم يعد فنا للتسلية وانما للمشاركة فى الحياة . وقد تبع ذلك حدث من اهم الاحداث الفنية بعد عام من افتتاح مسرح جورج ابيض فى ١٥ ابريل سنة ١٩١٣ اذ قدمت الفــرقة أول مسرحية اجتماعية مؤلفة وهى مسرحية مصر الجديدة ومصر القديمة . ومع ان هذه المسرحية تمثل قفزة فى عالم التاليف فهى لم تخرج عن اطار الحكاية الشعبية المصرية .

هذه الاحداث التى توالت على المسرح المصرى لم تكن بعيدة عن رجل مثل شوقى او عن اهتماماته .

وحين نفى شوقى ابان الحرب العـــالمية الاولى عام ١٩١٥ كان جورج أبيض يتهاوى ولم يستطع أن يقاوم مسرح سلامة حجازى واولاد عكاشة فكونوا فرقة واحدة. كان ذلك تعبيرا عن عودة تيار المسرح المرتبط بالغنـــاء والحكاية الشعبية . قدمت الفرقة الجديدة المسرحيات المترجمة والمقتبسة منذ بداية ظهور المسرح المصرى . وانتهى الامر بأن انحل الوفاق بين جورج وســــلامة حجازى ، فانفصلا سنة ١٩١٦ ، ثم توفى حجازى بعد ذلك سنة ١٩١٧ .

ولا شك ان شوقى عرف الرجلين معرفة تامة وعبر عن تقديره لحجازى فى احدى قصائده فى احتفال بيوم

ذكراه فى سنة ١٩٣١ ووصفه فى قصيدته بما يوضح معرفته بعبقريته :

عبقريا كأنه زئبق الخلد
على فرعه السرى الاسيل (١)

عمل ابيض بعد ذلك منفردا الا ان فرقته لم تكن تمثل بانتظام ولم يصبح لها المكانة الكبيرة التى استحقتها فى بداية ظهورها .

وكان تيار المسرح ابان الحرب العالمية يسير فى اتجاه مختلف عن البدايات التى حملها سلامة حجازى ، اذ ساد تيار المسرح الخليع يقدم مسرحيات الفودفيل الفرنسية ممصرة وقد حاول اصحابها ان يستهووا الجمهور بتقديم موضوعات تخاطب الغرائز الجنسية مما حول المسرح الى مكان اقرب الى المواخير التى كانت سائدة فى شارع عماد الدين .

وقد انجذب لهذا التيار رجال من خيرة رجال المسرح مثل عزيز عيد ونجيب الريحانى وامين صدقى وعلى الكسار . حتى ان نجيب الريحانى وعلى الكسار ومعهما عزيز صدقى قاما بتمثيل استكتشات تمثيلية فى مقاهى عماد الدين اشتهر فيها نجيب الريحانى بشخصية كشكش بيه وعلى الكسار بشخصية البربرى . ولقد اخذت هذه الاسكتشات فى مقاهى عماد الدين دور الشاعر الشعبى والاراجوز فى مقاهى الاحياء الشعبية .

وقف امام هذا التيار القوميون والمثاليون المصريون . حاولوا ان يقاوموه فانشاوا جمعية انصار التمثيل التى كان من بين اعضائها محمد تيمور وعبد الرحمن رشدى .

---

(١) احمد شوقى . الشوقيات . القاهرة : دار مصر للطباعة ، (د.ت) . جـ ٣ ، ص ١٣٨ .

حاول اعضاء هذه الجمعية ان يقاوموا المسرح الخليع بتشجيع المسارح الجادة وقاموا بدور عملى . فانشأ عبد الرحمن رشدى سنة ١٩١٧ فرقة مسرحية وكتب محمد تيمور ثلاث مسرحيات « العصفور فى القفص » و « عبد الستار افندى » و « الهاوية » تمثل الاتجاه الذى ابتوه وهو مذهب الحقيقة ترجمة لكلمة

وهو شكل من اشكال الواقعية النقدية فى صورتها الاولية . وقد كان ظهور هذا المذهب محاولة لتطوير المسرحيات الكوميدية السائدة كما حاول اصحاب هذا الاتجاه ان يطوروا المسرح والغناء المسرحى فاتجهوا الى الاوبريت فاقتبس محمد تيمور اوبريت العشرة الطيبة الذى قدمته فرقة الريحانى . كما قدمت فرقة منيرة المهدية مسرحية عايدة التى ترجمها فرح انطون .

عاد شوقى من منفاه سنة ١٩١٩ ليجد الثورة المصرية وقد شملت جوانب شتى من حياة مصر ومنها المسرح . وعاصر جزءا من الدور الذى لعبه محمد تيمور فى المسرح المصرى حتى انه اهتز لوفاته سنة ١٩٢١ اهتزازا عميقا ورثاه فى احدى قصائده :

ضربوا القباب على اليباب
وثووا الى يوم الحساب (١)

ولم تمض سنتان على وفاة تيمور حتى ظهر سنة ١٩٢٣ مسرح رمسيس . ويعد هذا المسرح خطوة متقدمة فى تاريخ المسرح المصرى .

---

(١) احمد شوقى - المرجع السابق - ص ٢٦ .

عاد هذا المسرح الى مفهوم الفن للفن وان قدم بعض المسرحيات الاجتماعية الهادفة . ولكن هذا المسرح لم يخرج تماما عن مفهوم المسرح كما عرفه المصريون . فاتجه الى المسرحية الاجتماعية والتاريخية واستخدم عناصر الميلودراما التى امتلأت بها السير والحكايات الشعبية .

وانفصل عن مسرح رمسيس سنة ١٩٢٦ عزيز عيد وزوجته فاطمة رشدى ليكونا مسرحا خاصا بهما . فى هذا التاريخ كان المسرح يعيش نهضة كبرى ، فانه مع وجود فرقة رمسيس وفرقة فاطمة رشدى كانت فرقة الريحانى تطور فن الكوميديا نحو المسرحية الاخلاقية وتلتزم بها دون الخروج على الروح المصرية الساخرة . وكان على الكسار يمزج فى مسرحه بين الكوميديا والغناء وبين القصص الشعبى فى مسرحيات استمدها من التراث الشعبى . كما كانت تتربع على قمة المسرح الغنائى منيرة المهدية .

فى هذا المناخ كتب شوقى مسرحياته الشعرية التى لم يخرج فيها عن الاطار المعروف .

عرف شوقى الكلاسيكية وعرف شكسبير حتى انه كتب عنه احدى قصائده تكريما لذكراه .

اعلى الممالك ما كرسيه الماء
وما دعامته بالحق شماء (١)

ولكن هذه المعرفة لا تزيد عن معرفة المصريين به ، اى انها معرفة عامة ، فقد احتفى المصريون

(١) احمد شوقى . المرجع السابق . ج ٢ ، ص ٦ .

بشكسبير وقدمت بعض الدراسات عنه منذ سنة ١٩٠٢ (١) .

وعرف شوقى فيكتور هيجو وكتب عنه قصيدة احتفالا بذكراه .

ما حل فيهم عيدك المأثور
الا وانت اجل يا فكتور (٢)

ولكن هذه المعرفة لا تمثل شيئا هاما فى أعمال شوقى المسرحية ، فهو لم ينظر خارج ارضه حين كتب مسرحه ولكنه نظر الى عالمه الذى تمثله جيدا فكتب مسرحه بالامكانيات التى أتاحها له عصره واتاحتها له ثقافته . وهو لم يكن كلاسيكيا حين كتب مسرحه شعرا فقد كتب بعض المسرحيات نثرا . وكان الشعر هو مصدر قوته . ولم يكن فى شعره المسرحى بمختلف عنه فى شعره الغنائى غير انه استخدم اداته الشعرية استخداما جديدا ولا شك ان كبار كتاب المسرح العالميين كانوا فى ذهنه ولكنه لم يتمثل اعمالهم وان تمنى أن تكون مكانته فى لغته مماثلة لمكانتهم فى لغتهم . فالتمثل كان فى النموذج الاجتماعى لا فى النموذج الفنى ، فكتابة شوقى المسرح الشعرى هو عملية انتقال بالاداة من نوع الى نوع دون تغير فى الاداة نفسها .

كتب شوقى سبع مسرحيات شعرية منها ثلاث مسرحيات ذات أصول تاريخية ، وهى « كليوباترا » و « قمبيز » و « على بك الكبير » واثنتان ذات أصول شعبية وهما « مجنون ليلى » و « عنترة » ومسرحيتان

(١) الجامعة - جـ ٦ - السنة الثالثة - يناير ١٩٠٢ .
(٢) أحمد شوقى - المرجع السابق - ص ٧١ .

هزليتان وهما « الست هدى » و « البخيلة » التى لم تطبع كامله حتى الآن .

لم ينقل شوقى قصصه من مصدر واحد من كتب التاريخ او الادب الشعبى وانما قام بعملية انتخاب للقصة أى انه اتخذ موقفا من رواية الاحداث واختار من بينها ما يجعل القصة مترابطة ثم يمسرحها وقد يضيف موقفا او اكثر من بين التراث المحيط بعالم القصة وهذا ما حدث لمعظم مسرحياته باستثناء مسرحية الست هدى والبخيلة التى استمدها من واقعه الاجتماعى غير انه صنع فيها نفس الشىء الذى صنعه فى مسرحياته المستمدة من التاريخ والادب الشعبى . وهو مسرحة القصة . وكان ما يقدمه معروفا ومتقبلا لدى معاصريه . لذا فانه يجب النظر الى مسرحه من مفهوم الحكاية الشعبية وليس من الاصول الفنية للمسرح الغربى ، فلم يكن شوقى محتذيا للأصول الكلاسيكية عندما ابعد الاحداث الفاجعة عن خشبة المسرح كما حدث فى لقاء قيس بمنازل واخذ زياد له خارج المسرح كى يؤدبه تاركا قيسا بمفرده فهو بهذا قد افسح الطريق لدخول شخصية جديدة على المسرح . أما التزامه أو عدم التزامه لوحدة الزمان والمكان والحدث فهذا لم يفرضه عليه مذهب معين من مذاهب المسرح بقدر ما فرضته الحكاية نفسها .

وهذا ينطبق على كثير من كتاب المسرح فى ذلك الوقت ويفسر الكثير من القضايا المتعلقة بدراسة المسرح الحديث ، فهو الى مسرح الحكاية اقرب منه أن يكون مسرحا يسير على الاصول الغربية لفن المسرح .

وانه ليمكن القول بأن المسرح لم يتخلص من الحكاية ولا يستثنى من ذلك عمل مسرحى مصرى واحد بما فى ذلك مسرح توفيق الحكيم .

وعند دراسة مسرحية « مجنون ليلى » لا يمكن رد اصولهــــا الى أى من المذاهب الادبية من كلاسيكية او رومانسية او واقعية . فمادة المسرحية جاهزة سجلها ابو الفرج الاصفهانى فى كتابه الاغانى . كما أن القصة الشعبية المتبقية عن هذا الحب مدونة فى كتاب .

ـ ب ـ

استخدم شوقى قصة باقية معـــروفة فى الادب العربى ، شائعة بين العـــامة والخاصة . وبالرغم من قدمها ما زالت جزءا من التراث العربى ، وما زال اسم قيس وليلى يعيشان رمزا للحب العذرى الصـــادق ، فالقصة تخطت حدود الزمن لتعيش فى كل عصور الادب العربى .

غذت القصـــــة المتصوفة ، فراوا فيها رمزا للحب السامى . واستخدموا معانيها فى حديثهم عن الحب الالهى . وتغنوا بليلى وعدها البعض رمزا للذات الالهية وعدها آخرون رمزا لـ « لا اله الا الله » ، فلم يكن غريبا أن يتناولها شوقى فالقصة مملوءة بايحاءاتها الشعرية .

ولقد اشتركت روايات الاصـــــبهانى عن قيس (1) والقصة الشعبية المطبوعة تحت عنوان قصة قيس بن

---

(1) ابو الفرج الاصبهانى ، على بن الحسين ، كتاب الاغانى ، القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، سنة ١٩٦٣ ، جـ ٢ ، ص ١ ـ ٩٦ .

الملوح العامرى المعروف بمجنـــون ليلى (١) ومسرحية شوقى مجنون ليلى (٢) فى اطار لم تخرج عنه .

فتى يعشق فتاة

هذا الفتى شاعر

يجنى الشعر على الشاعر بعد اذاعته قصة الحب .

ترفض القبيلة زواج ابنتها منه .

تتزوج الفتاة من شخص آخر .

يجن الحبيب ويتوحش بعيدا عن الناس .

يتسبب الحب فى موت العاشقين .

وقصة الاصـــبهانى فى الاغانى موزعة بغير ترابط زمنى . اعتمد فيها على مجموعة من الرواة وعـدد من الروايات وقد اخذت الرواية الشعبية شكلا تاريخيا اذ تعددت فى بعض أحداث القصة الروايات غير انها التزمت بخط قصصى واضح . الف شوقى من بين هذه العملين أهم احداث قصته واضاف اليه اضافة هامة مستمدة من روايات أخرى لا علاقة لها بقصة قيس وهى شخصية الجن ودوره فى المسرحية اما عذرية ليلى فقد ردها غنيمى هلال الى الادب الفارسى فهو يرى أن « هذه الفكرة ليس لها اصل فى المراجع المعول عليها فى اللغة العربية » (٣) . والحقيقة ان القصص الشعبى المصرى الذى يروى عن ليلى يؤكد عذريتهـــا والمتصوفة من العـــامة فى مصر

---

(١) قصة قيس بن الملوح العامرى المعروف بمجنون ليلى . القاهرة : المكتبة المصرية . (د.ت) .

(٢) أحمد شوقى . مسرحية مجنون ليلى . القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى . (د.ت) .

(٣) هلال . المرجع السابق . ص ٦٦ .

يعتقدون فى عذريتها وهذا ما ربط اسمها بالشعر الصوفى فهى السر الذى لم يفض .

***

تحرك شوقي في مسرحيته من دائرة الروايات التى جمعها الاصبهانى وانتقى منها خطا يتحرك من خلاله فى بناء قصته .

ذكر الاصبهانى فى اكثر من موضوع فى روايات القصة مجالس السمر بين فتيان وفتيات قبيلة بني عامر وذلك فى معرض حديثه عن بداية التعارف بين قيس وليلى (١) .

استخدم شوقي هذه الصورة في بداية المسرحية لا ليقدم بها لعملية التعارف بين العاشقين وانما ليكشف عن الازمة التى تواجه هذا الحب .

رسم المنظر الاول فى الفصل الاول من المسرحية « ساحة امام خيام المهدى في حى بني عامر مجلس من مجالس السمر فى هذه الساحة ــ فتية وفتيات من الحى يسمرون فى أوائل الليل ، وفى ايدى الفتيات صوف ومغازل يلهون بها وهم يتحدثون » (٢) . وظهرت فتيات باسم « سلمى » و « هند » و « عبلة » . لم يذكر أسماءهن صاحب الاغانى . واسم صاحبتها التى ذكرت فى كتابه « كريمة » مر قيس ومعها نسوة فدعونه للنزول والحديث فنزل وظل يحادثهن وينشدهن وهن اعجب شيء فيما يرى » (٣) .

---

(١) الاصبهانى . المرجع السابق . ص ١٢ ــ ١٤ ، ٢٩ ، ٣٠ .
(٢) المسرحية . ص ٧ .
(٣) الاصبهانى . المرجع السابق . ص ٣٦ .

ظهرت ليلى عند ارتفاع الستار ويدها في يد قيس بن ذريح . وجه هذا الموقف التهم الى شوقى بانه متأثر فى هذا بالعرب .

والحقيقة ان شوقى انساق مع الجو الذى صوره صاحب الاغانى لهذه المجالس . ولم يكن وجود قيس بن ذريح من اختراع شوقى وانما كان اخذا بما ذكره صاحب الاغانى .

ادت قصة ابن ذريح ولقاؤه بليلى الى تعرف الازمة التى بنيت عليها احداث المسرحية .

يلتقى قيس بن ذريح فى رواية الاغانى بقيس بن الملوح وهو جالس وحده فى نادى قومه لا يكلم احدا فسلم عليه قيس بن ذريح فلم يرد عليه السلام مع ان كلا منهما كان يشتاق الى لقاء الاخر فلم يكن من ابن ذريح الا ان عرفه بنفسه فوثب اليه قيس بن الملوح « فعانقه وقال له : مرحبا بك يا اخى ، انا والله مذهوب بى مشترك اللب ، فلا تلمنى ، فتحدثا ساعة وتشاكيا ، وبكيا ، ثم قال له المجنون : يا اخى ان حى ليلى منا قريب ، فهل لك ان تمضى اليها فتبلغها عنى السلام ، فقال له : افعل .

فمضى قيس بن ذريح حتى اتى ليلى فسلم وانتسب ، فقالت له حياك الله الك حاجة ؟ قال : نعم ، ابن عمك ارسلنى اليك بالسلام فاطرقت ثم قالت : ما كنت اهلا للتحية او علمت انك رسوله ، قل له : عنى ارأيت قولك :

ابت ليلة بالغيل يا ام مالك
لكم غير حب صادق ليس يكذب

الا انمــــــــا ابقيت يا أم مالك
صدى اينما تذهب به الريح يذهب (١)

لون شوقى هذا الموقف فلم يقصره على هذه الرواية فقد قدمت ليلى فى المسرحية قيس بن ذريح الى فتية وفتيات من الحى فرحبوا به .

ويظهر من هذا الترحيب الموقف السياسى فى هـذا العصر . فابن ذريح هو رضيع الحسين والـدولة التى تحكم نجد هى الدولة الاموية فيتكشف موقف الامويين الذين يحكمون بالحديد والنار .

« ابن ذريح :

ان حديث النــــــاس فى يثرب
همس وخطو الناس فيهـــا احتراس

بينما كانت ليلى تقف مع الامويين .

« ليلى :

ابن ذريح لا تجر واقتصـــــــد
احلام مروان جبـــــال رواس

يؤســـون الملك فى بيتهـــــم
والعنف والشدة عند الاساس (٢)

ثم يتحادثون عن الحضر والبادية ويظهر ضيق الفتيات من البادية ومن عيشتها الجافية . استخدم هذا شوقى ليبرز شخصية ليلى القانعة بالبادية ، العاشقة لها ، فهى تدافع عنها دون ان تنال من الحضر . ويكشف هذا الدفاع عن الجانب العـــاطفى فى شخصيتها والحوار

(١) الاصبهانى ، المرجع السابق ، ص ٩٤ .
(٢) احمد شوقى ، المرجع السابق ، ص ٩ .

تمهيدا للأحداث ، فليلى منذ البداية مهيأة لان تـكون شهيدة للعشق .

« ليلى :

ويقتلنا العشق والحـــــاضرات
يقمن من العشـــــق فى عافية

ولم نصطدم بهموم الحيـــــــاة
ولم ندر لولا الهـــوى ماهية (١)

ويبرز بعد ذلك الحديث مباشرة حب ليلى بقيس فهى تخدر ثم تذكر اسمه ليخف عنهـــا الخدر ، فهى تظهر عاشقة منذ بداية الفصل . وشوقى يجعل لقصة الحب ابعادا قديمة فى حياة العـــــاشقين . فقد بدات منذ طفولتهما لم يذكر ذلك شوقى الا فى نهاية المسرحية فى مناجاة قيس لجبل التوباد .

« وعلى سفحك عشــــــنا زمنا
ورعينا غنم الاهل معـــــــــا

هذه الربــــوة كانت ملعبـــــا
لشــــــــبابنا وكانت مرتعا (٢)

وشوقى يعتمد فى ذلك على رؤية ابى عمرو الشيبانى وابى عبيدة كما يرويها الاصبهانى وتذكر ان المجنون كان يهوى ليلى وتكنى ام مالك وهما حينئذ صبيان ، فعلق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشى أهلهما ، فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه ، قال ويدل على ذلك قــوله :

---

(١) المرجع نفسه - ص ١١ .
(٢) شوقى . المصدر السابق - ص ١٢٠ .

تعلقت ليلى وهى ذات ذؤابـــة
ولم يبد للأتراب من ثديهـــا حجم

صــغيرين نرعى البهم يا ليت اننـــا
الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم (١)

والرواية الشعبية تذكر ان البعض يزعم انهما شبا صغيرين يرعيان الغنم فتحابا وذكر نفس الابيات السابقة بتغير في الشـــــطر الاول « تعشقت ليلى وهى غر صغيرة » (٢) .

اراد شوقى أن يصور فى الفصل الاول قوة الحب عند قيس مستخدما احدى روايات الاغانى فقد « قيـــل للمجنون اى شىء رايت احب اليك قال : ليلى ، قيل : دع ليلى فقد عرفنا مالها عندك ولكن سواها ، قال : والله ما اعجبنى شىء قط فذكرت ليلى الا سقط من عينى واذهب ذكرها بشاشته عندى ، غير انى رايت ظبيا مرة فتاملته وذكرت ليلى فجعل يزداد فى عينى حسنا ، ثم انه عارضه ذئب . وهرب منه فتبعه حتى خفيا عنى ، فوجدت الذئب قد صرعه واكل بعضه ، فرميته بسهم فما اخطات مقتله وبقرت بطنه فاخرجت ما اكل منه ثم جمعته الى بقية شلو ودفنته واحرقت الذئب » (٣) .

وسع شوقى مساحة هذه القصة بما يتلاءم ووضعها فى منظر مسرحى وجعل القصة حديث الســـمار وكان « بشر » احدهم قد اخذ يتحدث عن مهارته فى الصيد فذكر هذه القصة مستخدما ابياتا لقيس :

---

(١) الاصبهانى . المرجع السابق . ص ١١ .
(٢) قصة قيس بن الملوح . ص ٤ .
(٣) الاصبهانى . المرجع السابق . ص ٧٣ ، ٧٤ .

رايت غزالا يرتعى وســـط روضة
فقلت ارى ليلى تراءت لنا ظهـــرا
فيا ظبى كل رغدا هنيئـا ولا تخف
فانك لى جار ولا ترهب الدهــرا
وعندى لـكم حصن حصين وصارم
حسام اذا اعملتـــه احسن الهبرا
فمـــا راعنى الا وذئب قد انتحى
فاعلق فى احشائه الناب والظفـرا
ففوقت سهمى فى كتوم غمزتهـــا
فخالط سهمى مهجة الذئب والنحرا

ولم يغير شوقى فى هذه الابيات سوى الشطر الاول من البيت الثانى « فيا ظبى كل رغدا هنيئا ولا تخف » بـ « فقلت له يا ظبى لا تخش حادثا » .

حول شوقى هذا الموقف الى لحظة ساخرة اذ ادرك الجميع ان بشرا يسرق شعر قيس ثم اخذت ليلى تقص قصة الظبى والذئب مع قيس مظهره عاطفـة الحب ثم تقطع حديث الذئب فى لوعة وصـــوتها مخفوض يبرز عاطفتها تجاهه .

بروحى قيس هـــل راحت
ظباء القـــاع تهـــــواه
وهـــل يرثى لـــه الريـــم
ولا ارثى لبــــــــلواه (١)

اندفع الفتية بعد هذا يكملون حديث الذئب ، ودفن قيس الظبى فى شكل ساخر وهنا يتدخل قيس بن ذريح

---

(١) المسرحية ، ص ١٦ .

ليحدث ليلى بالرسالة التى يحملها من قيس . وينقد شوقى لانه جعل ابن ذريح يخطب ليلى من نفسها (١) . ولم يكن شوقى مخترعا لهذا الموقف ، وانما كان ينقله كما روى (٢) ، فليلى تغضب من عرض ابن ذريح فى المسرحية كما غضبت فى قصة الاغانى ، وتتهم قيسا بانه مستهتر فى هواه لم يصنها مشيرة بذلك الى حديثه عن ليلة الفيل « قد تغنى بليلة الفيل ماذا كان بالفيل بين قيس وبينى لا » . وهنا يبرز ما نسميه التناقض فى موقف ليلى ، فهى تحبه وفى الوقت نفسه تغضب لان ابن ذريح يقدم ليخطبها لقيس .

كان شوقى محاصرا بالاطار العام للقصة . وهو من القوة بحيث يحد شوقى الذى التزم به . وان حاول ان يفسر هذا التناقض ليكون موقفا طبيعيا من الفتاة . فاضاف الى شخصية ليلى العاشقة المرتبطة بالبيد صراعا بين حبها لقيس وبين تقاليد القبيلة ، فانها مع معرفة دور شعر قيس فى حياتها تراه قد عرض بعرضها ، فموقفها هنا هو موقف القبيلة التى رات انه نال من سمعة ابنتهم فهى تعيش الصراع بين الحب وبين تقاليد القبيلة ، بين حرصها على حبيبها وبين حرصها على عرضها .

أنا بين اثنتين كلتاهما النار
فلا تلحنى ولكن اعنى
بين حرصى على قداسة عرضى
واحتفاظى بمن احب وضنى (٣)

(١) المسرحية - ص ٦٧ .
(٢) الاصبهانى - المرجع السابق - ص ٢٧ .
(٣) المسرحية - ص ٦٨ .

وتدخل ليلى الخباء فينفض السامر فهي كما ارادها شوقي مركز حركة الفتية والفتيات ومحط انتباههم فلا سامر دون ليلى . وبينما الجميع يتحركون للرحيل يظهر قيس ويلتقي بمنازل ويحدث خصام بين منازل وبين قيس من ناحية ومنازل وزياد الذي يغضب لاكاذيب منازل فيطلب من قيس ان يكل له تأديبه فيجره خارج المسرح حيث يسمع اصواتهما من بعيد . ولم يكن هذا المنظر من اختراع شوقي ايضا ففي احدى روايات الاغاني ان قيسا لما مر باحدى نساء بني عقيل واخذ في محادثتهن عقر لهن ناقته ثم اقبل منازل فاقبلت النسوة عليه بوجوههن فغضب قيس فقال له منازل « هلم نتصارع او نتناضل ، فقال له : ان شئت ذلك فقم الى حيث لا تراهن ولا يرينك ، ثم ما شئت فافعل » (1) .

قدم شوقي قيسا بالصورة المعروفة عنه فاقدا قواه البدنية كلية ولم يشأ ان يجعله يقوم بدور المصارع فأبدله بزياد . وما ان خرج زياد ومنازل عن ساحة المسرح حتى اقبل قيس على خباء ليلى يناديها فيظهر والدها الذي يسله عن اسباب وقوفه ويزعم قيس انه يريد حطبا فقد خلت دارهم منه فينادي الأب ابنته ليلى لتعين قيسا . بنى شوقي هذا المنظر على احدى روايات صاحب الاغاني عن احد ابناء عشيرة قيس « قال : قلت لقيس بن الملوح قبل ان يخالط : ما اعجب شيء اصابك في وجدك ليلى ؟ قال طرقنا ذات ليلة اضياف ولم يكن عندنا لهم ادم فبعثني ابي الى منزل ابي ليلى وقال لي : اطلب لنا منه ادما ، فاتيته فوقفت على خبائه فصحت به ، فقال :

(1) الاصبهاني . المرجع السابق . ص ٣٠ .

ما تشاء ؟ فقلت : طرقنـــا ضيفان ولا ادم عندنا لهم فارسلنى ابى نطلب منك ادما فقال : يا ليلى اخرجى اليه ذلك النحى فاملئى له اناءه من السمن ، فاخرجته ومعى قعب ، فجعلت تصب السمن فيه وتتحـدث ، فالهانا الحديث وهى تصب السمن وقد امتلأ القعب ولا نعلم جميعا ، وهو يسيل حتى استنقعت ارجلنا من السمن قال : فاتيتهم ليلة ثانية اطلب نارا وانا متلفع ببرد لى فاخرجت لى نارا فى عطبة فاعطيتها ووقفنا نتحدث ، فلما احترقت العطبة خرقت من بردى خرقة وجعلت النار فيها فكلما احترقت خرقت اخرى واذكيت بها النار حتى لم يبق على من البرد الا ما وارى عورتى وما اعقل ما أصنع » (١) .

لقد حول شوقى هذه الرواية الى منظر مسرحى وقام بعملية انتخاب ليجعلها تلائم المسرح ، فالغى حادثة السمن وابقى حادثة النار ولم يضعها على المسرح جافة وانمـــا استخدم خياله ليوضح كلمة « ووقفنا نتحدث » ليجعل الحوار يدور بين قيس وليلى بوحا بالحب فليلى التى اظهرت الغضب من تحدث قيس بن ذريح اليهـــا عن زواجها من قيس ، نسيت ذلك كله وامتدت بنفسها اليه تعاتبه لا على ذكره ليلة الغيل وانما على وصفه الظباء غيرة منها وبينما هم فى الحديث تصل النار الى كم قيس وهو لا يأبه للنار وبينما ليلى تصرخ وتتألم لما اصابه يرد عليها بما يكشف عن العاطفة القوية التى يكنها لها .

انت اججـــت فى الحشى
لاعج الشوق فاســـتعر

---

(١) الاصبهانى ، المرجع نفسه ، ص ٣١ ، ٣٢ .

ثم تخشين جمــــــــرة
تاكل الجــــلد والشــعر (١)

ويترنح قيس بعدها وتظهر عليه بوادر الاغمــــاء ثم يخر صريعا الى الارض فتتلقــاه على صــدرها صارخة وتنادى اباها وحين يفيق قيس من اغمائه يكون والدها قد حدد موقفه منه فيطلب منه ان يترك الدار .

امض قيس امض جئت تطلب نارا
ام ترى جئت تشعل البيت نارا (٢)

وينتهى الفصــل بهــذا البيت وقد اصبح واضحا ان الطريق الى اهل ليلى مغلق امامه الى الابد .

***

وفى الفصل الثانى يحدد شوقى مكان الاحداث طريقا من طرق القوافل بين نجد ويثرب على مقربة من حى بنى عامر حيث تبدو مضاربهم على مدى البصر على سفح جبل توباد وقيس وزياد جلوس يستشرفان شبحا يسير نحوهما .

ولم يكن هذا الشبح سوى بلهاء جاريته التى ارسلتها امه بطعام لقيس . فقد بدا قيس فاقدا لعقله معروفا بين شخصيات المسرحية بالجنون . هذا الجنون الذى افاض فى الحديث عنه الاصبهانى والقصة الشعبية . وقد نقل شوقى هذا المنظر مما روى عن ان امراة كانت تصنع له طعاما فجاءته فوجدت الطعــــام على حاله (٣)

(١) المسرحية ، ص ٢٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .
(٣) الاصبهانى ، المرجع السابق ، ص ٩٠ .

والرواية توحي ان قيسا توقف عن الطعام قبيل وفاته . الا أنها هنا تقدم له طعـــاما صنعته والدته له فرفض الطعام ثم تتركه بلهاء مع زياد وتسير الى الحي بينما تظهر طائفتان من الاطفال طائفة تهجو قيسا واخـــرى تمدحه ولقد أبرز شوقي هؤلاء الصبية ليكونوا تعبيرا عن موقف المجتمع من قيس كما انها كانت المدخـل الذى استخدم فيه شوقي ابن عوف امير الصدقات ليقوم بدور في المسرحية فلقد سأل ابن عوف كاتبه نصيب عن هذه الضجة التى سمعها وعن الفتى وهنا يلتقى به زياد يخبره ان هذا الفتى هو امام العاشقين ، وهنا يلون شوقي الموقف بمنظر آخر وهو الركب الحسيني يسير الى المدينة بينما قيس فى اغماءة لم يشغل الركب له بالا ولم يوقظ له فكرا .

تابع شوقي الموقف ليخرج منه الى الحديث عن حج قيس فلقد ذكر « ان ابا المجنون حج به ليدعو الله عز وجل فى الموقف ان يعافيه » (١) وقد ذكر ان اباه قال له : « تعلق باستار الكعبة واسال الله ان يعافيك من حب ليلى ، فتعلق باستار الكعبة وقال : « اللهم زدني لليلى حبا وبها كلفا ولا تنسني ذكرها ابدا » (٢) . ولم يجعل شوقي هذا المنظر حركة فى المسرحية وانماذكره رواية على لسان زياد وقد تعجب ابن عوف الا يحـــرك الموكب الحسيني ساكنا لقيس فكان رد زياد أن هناك ما هــو اعظم من الركب الحسيني لم يحـــرك لقيس ساكنا ؛ فشوقي لم يقدم المنظر الذى عاشه قيس وانما أبرزه عن طريق الحكاية .

« أبن عوف ...

---

(١) الاصبهاني ، ص ٥٦ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٢ .

(الى زياد مشيرا الى قيس)

زياد انظر فمـــــا انفك
صريع الوجد والذكـــرى
كمـــا مر بنا الركب الـــ
حسينى بــــــه مـــرا
فلم يشـــغل له بالا
ولم يوقظ له فـــــكرا

زيـــاد : رويدا سيدى مهـــلا
ولا تستغرب الامـــــرا
لقد ســـقناه بالامس
فحج الكعبة الغـــــرا
فلمـــا لمس الركـــن
ومست يده الســـــترا
وقلنــــا الآن من ليلى
ومن فتنتهـــا يـــــرا
سمعناه ينادى الله من ساحته الكبرى

ابن عوف : وماذا قال :

زيـاد : ما تاب من العشق ولا استبرا
ولكن قال يـــارب
ملكت الخيـــر والشرا
فهـــــات الضر ان كان
هوى ليلى هــــو الضرا
وان كـــان هو الســـحر
فلا تبطـــل لهـــا سحرا

ويا رب هب الســــــلوى
لغيرى وهب الصبرا (١)

ثم قام ابن عوف في المسرحية بالدور الذى قام به فيما روى عن قيس . فلقد روى الاغانى قصة رجلين قاما بدور في قصة حب قيس وليلى ولكنهما ردا وهما عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، ونوفل بن مســـاحق . اختار شوقى ان يتحدث عن دور عمر بن عبد الرحمن بن عوف فرو لم يكن محتاجا ان يكرر الحـــدث مرة ثانية بقصة نوفل بن مساحق واعتمد في ذلك على ما رواه الاغانى عن الهيثم فقد قال « ولى مروان بن الحكم عمر بن عبد الرحمن بن عوف صدقات بنى كعب وقشير وجعدة والحريش وحبيب وعبد الله ، فنظر الى المجنون قبل أن يستحكم جنونه فكلمه وانشده فاعجب به فسأله ان يخرج معه ، فأجابه الى ذلك فلما اراد الرواح جاءه قومه فأخبروه خبره وخبر ليلى وان اهلها استعدوا السلطان عليه فاهدر دمه ان اتاهم ، فاضرب عمـا وعده وامره بقلائص فلما علم بذلك واتى بالقلائص ردها عليـــــه وانصرف » (٢) ولم يلتزم شـــوقى بحرفية هذه الرواية فابن عوف فى المسرحية يعرف من قيس الكثير كما يعجب بشعره ويرويه . ويستخدم شوقى هذا اللقاء ليعرف الجمهور بأن الخليفة قد اهدر دمه كما ذكرت الروايات فى حديثه الى ابن عوف يعاتب فيه الخليفة لموقفـــه منه .

---

(١) المسرحية - ص ٤٤ ـ ٤٥ .
(٢) الاصبهانى - المرجع السابق - ص ١٦ .

قيس :

قل للخليفة يابن عـوف فى غـد
من ذا اباح له دم العشـــاق

هدرت حكومته دمى فتحـــرشت
بدم على سيف الجفون مراق (١)

لم ينته الموقف عند اعتراض قيس وانما امتد ليوضح انه لا يأبه لموقف الخليفة واباحته دمه فقد ساله ابن عوف ان كان يرضاه عند الخليفة شافعا فيرفض قيس فى انفه فهناك من هو اعظم من الخليفة ومن يهتم لهـا اكثر من اهتمامه بالخليفة فيساله ان يشفع له عند ليلى . لم يترك شوقى موقفا يدعم احساس الجمهور بحب قيس لليلى الا ذكره ، فليلى اميرة قيس ، ومهدرة دمه .

ليلى اذا هى اقبـــلت حقنت دمى
كرما وفـكت يا امير وثاقى (٢)

وكان ذلك مدخلا للفصل الثالث فشوقى يتابع قصة قيس بتسلسل الاحداث . وتكون وظيفة ابن عوف فى المسرحية هو وضع خاتمة للأمل الذى كان يمكن ان يلوح بزواج قيس من ليلى .

***

ذهب ابن عوف فوجد القبيلة منقسمة على نفســها بعضهم لا يرى عيبا فى حب قيس لليلى وبعضهم يراه قد انتهك الحرمات ويبرز منازل غريم قيس يؤلب عليه القبيلة كلها غير ان الذى حدد نهاية الامل لم يكن والد ليلى او اهلها أو غريمه زياد وانما كانت ليلى . وقد مهد

(١) المسرحية ، ص ٤٧ .
(٢) المصدر نفسه .

شوقي لهذا الموقف بحديث بين رجلين من قبيلة عامر يتحدثان عن منازل فيذكر احدهما انه سيخيب وان ليلى ستتزوج رجلا غريبا من نواحي ثقيف وانها تبحث عن مهرب لها وارض ثقيف هي المهرب .

وان رضيت ورد بعــلا لها
وقيس الاحب لهــا والاقرب
فيا طالما التمست مهـــربا
وارض ثقيف هي المهرب (١)

ولكن لماذا تهرب ليلى الى ارض ثقيف ؟ جعل شوقي هذا الخيار لها وجعلها تختار وردا على قيس كما تكهن هذا الرجل لقد قبل والد ليلى بعد جهد وساطة ابن‌عوف وجعل الكلمة النهائية لابنته فاختارت وردا . كان يبدو هذا الاختيار غير ملائم لفتاة تحب فتاها . ولكن شوقي منذ بداية المسرحية هيأ لهذا الاختيار . فليلى ترفض وســــاطة قيس بن ذريح من زواجها بقيس فهي قد رسمت فتاة قوية الشخصية مرتبطة بالتقاليد تصـــون القديم ، وقد عبر عن ذلك احد ابناء قبيلتها . وان لم يكن ذلك وحده مقنعا .

اراها وان لم تخط الشـــباب
عجـــوزا على الراى لا تغلب
تصون القديم وترعى الرميم
وتعطى التقـــاليد ما توجب
وبالجاهلية اعجابهــــــا
اذا قل بالســــلف المعجب
ومن سنة البيـــد تفض الاكف
من العاشقين اذا شببوا (٢)

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٦٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٦ ، ٦٧ .

فليلي بشخصيتها اذن مهيأة لرفض قيس ، وشوقي يضعها محركة للحدث في المسرحية مخالفا ما رواه صاحب الاغاني فقد خيرت ليلى بين ورد وقيس كما حدث في المسرحية الا ان أهلها « دخلوا اليها فقالوا : والله لئن لم تختاري وردا لنمثلن بك » (١) فاختارت وردا وتزوجته على كره منها . اختلفت القصة الشعبية كثيرا عن هذا في تحديد اسباب زواجها من ورد ، فقد جعلت القصة الشعبية قوة أعلى من قوة القبيلة تدفعها الى الزواج . تدخل عبد الملك بن مروان نفسه في امر زواجها اذ ارسل الى أبيها امره بتزويجها (٢) فهي لم تصنع الحدث وانما كانت متلقية له .

❊❊❊

ولقد كان اختيار ليلى لورد نهاية للفصل الثالث تصعد به الاحداث الى ذروتها ولم يبق بعد ذلك لقيس وليلى سوى الالم . فانها ما ان اختارت حتى أعلنت الندم . ولكن بعد فوات الاوان فقد ذهب ابن عوف وبقيت وحدها تعيش صراعا مؤلما تحدد كلماتها خطوط الاحداث المقبلة .

مالي غضبت فضاع امري من يدي
والامر يخرج من يد الغضبان
قالوا انظري ما تحكمين فليتني
ابصرت رشدي أو ملكت عناني
ما زلت أهذي بالوساوس ساعة
حتى قتلت اثنين بالهذيان (٣)

---

(١) الاصبهاني ، المرجع السابق ، ص ١٤ .
(٢) قصة قيس بن الملوح ، ص ٤٨ .
(٣) المسرحية ، ص ٨ ٧٠

والقصة بعد ذلك تسير نحو النهاية التى حددتها ليلى

قسم شوقى الفصل الرابع الى منظرين احدهما فى قرية الجن والآخر فى حى بنى ثقيف .

وفى المنظـــر الاول يظهـــــر الجن وقـد اجتمعوا للحفاوة بقيس وهو يهيم فى الفلوات آخذا طريقه الى بيت ليلى . لقد استبد الحب به فتوحش وهام على وجهه فى البيد . وليس توحش قيس جديدا فى المسرحية ، فان هنـــــاك روايات كثيرة عن توحش قيس وجنونه وهيامه على وجهه فى الصحراء (١) .

وينقل الجنى الاموى قيسا الى ديار ليلى وهناك يظهر زوج ليلى الذى يترك قيسا ليلتقى بزوجتـه منفردا . وشخصية ورد هنا اكثر وضوحا منها فى روايات الاغانى فهو شخصية انسانية ، يكن احتراما كبيرا للعاشقين . ودخل قطبا ثالثا فى الصراع الدائر فى قصة الحب فاذا كان المجتمع قد حرم قيس وليلى من الزواج فان الحب حرم وردا من زوجته ومن التمتع بها فهو طرف فى المأساة بينما تجعل روايات الاغانى والقصة الشعبية (٢) الصراع بينه وبين قيس صراعا مباشرا تكون التقاليد جزءا منه . ذكرت الروايات أن ليلى حين حجبت عن المجنـــــون « خطبها جماعة فلم يرضهم اهلها وخطبها رجل من ثقيف موسر فزوجوه واخفوا ذلك عن المجنون » (٣) . وقيل ان ليلى رضيت به مكرهة (٤) . كمـــا روى انهـــا

---

(١) الاصبهانى . المرجع السابق . ص ١٥ ، ١٦ ، ٣٨ ، ٥٤ ، ٨٤ .
(٢) الاصبهانى . المرجع نفسه . ص ٤٧ ، وقصة قيس بن الملوح . ص ٤٨ ـ ٥٠ .
(٣) المرجع نفسه . ص ٤٧ .
(٤) المرجع نفسه . ص ١٤ .

رضيته (١) . والمح قيس في شـــعره انها اكرهت على الزواج .

الا تلك ليلى العـامرية اصبحت
تقطع الا من ثقيف حبالهـــا
هم حبسوها محبس البدن وابتغى
بها المال اقوام الا قل مالهـــا (٢)

وكان لقاء قيس بزوجها في المسرحية مختلفا عنه في روايتي الاغاني والقصة الشعبية . تذكر رواية الاغاني انه مر بزوجها وهو يصطلي في يوم شات وقد اتى ابن عم له في حي المجنون لحاجة ، فوقف عليـه ثم انشا يقول :

بربك هل ضممت اليك ليلى
قبيل الصـــبح او قبلت فاها
وهل رفت عليك قـرون ليلى
رفيف الاقحـوانة في نداها

قال اللهم اذا حلفتني فنعم (٣) . اما في القصة الشعبية فان زوج ليلى اشتاق الى رؤيته وحين وجـده ذكر له الابيات مع تغيير في لفظ القسم فقد استبدل «بعيشك» بدلا من « بربك » بينما تغاير رواية البيت الثاني :

وهل دارت رحاك بمنكبيهـــا
وهل مالت عليك ذؤابتاها (٤)

---

(١) المرجع نفسه . ص ٥٦ .
(٢) المرجع نفسه . ص ٤٧ .
(٣) المرجع نفسه . ص ٤٧ .
(٤) قصة قيس بن الملوح . ص ٤٨ ، ٤٩ .

ولا تذكر قصة الاغاني علاقة ما بين قيس وزوجها غير انها تذكر رد فعل اجابة الزوج عليه فقد قبض المجنون بكلتا يديه على قبضة من الجمر فما فارقهما حتى سقط مغشيا عليه ويسقط الجمر مع لحم راحتيه ، وعض على شفتيه فقطعها ، فقام زوج ليلى مغموما بفعله متعجبا منه فمضى (١) .

وتختلف القصة الشعبية اذ ان اللقاء فيها تم بينهما عن طريق حب الاستطلاع فقد اشتاق الزوج لرؤية قيس فأخذ يترقب الفرص لملاقاته حتى قام برحلة قنص فى الصحراء وهناك التقى به .

استخدم شوقى هذا الحدث مع تغيير فى المواقف اذ ان قيسا هو الذى يقوم بالرحلة الى ارض ثقيف قاصدا ليلى . وحين وصل قيس الى خيامها التقى به . استخدم شوقى شعر قيس كما يرويه الاصيهانى :

« بربك هل ضممت اليك ليلى .. » (٢) فيجيب ورد اجابة مختلفة عن اجابة الاغانى والقصة الشعبية فلا يتوقف عند نعم وانما يضيف اليها بعد فترة سكون « نعم ولا ياقيس » وحين يصر قيس على جواب محدد يكون جواب ورد كاشفا عن جوانب انسانية تبرز واضحة فى شخصيته .

هيها نعم يا قيس هـــل
مع الحـــلال من تهـــم
المرء لا يســـال ! هـــل
قبـل اهله ؟ وكـــم ؟

---

(١) الاصيهانى . المرجع السابق . ص ٢٥ .
(٢) قصة قيس بن الملوح . ص ٤٨ ــ ٥٠ .

اجل القـــــد قبلتهـــــا
من راسها الى القـــــدم (١)

ويستمر الحوار بينهما وفيه يطمئن ورد قيسا الى انه يلتقى بصديق لا عدو حتى تخرج ليلى من الخباء فيناديها ورد لتلتقى بقيس وينتهى هذا اللقاء بان يخرج قيس غاضبا من ليلى حين ترفض ان تترك زوجهـــا وتتبعه وينتهى الفصل بما يمهد للجمهور أن نهـــاية ليلى قـــد قربت .

***

يبدا الفصل الخامس على مقابر جبل التوباذ ، وقد ماتت ليلى وقد اخذ المشيعون فى الانصراف وهم يعزون اباها وشوقى يخالف رواية الاغانى التى تذكر وفاة قيس قبل وفاة ليلى ويتبع فى ذلك القصة الشعبية التى تذكر « ان ليلى ماتت قبل قيس فقد عاشت لا تستطعم بطعام وتعض على يدها أسفا وندامة حتى زال نشاطها وحال وتمكن منها المرض والبلبال وفى كل يوم تزداد عليها الالام حتى انقطع صوتها عن الكلام وشربت كأس الحمام فكفنها اهلها وواروها التراب واكثروا عليها الانتحاب ومزقوا ما عليهم من الثياب » (٢) . وتذكر القصـــة ان فارسين مرا على قيس فنعيا اليه ليلى فاستعظم المصاب وذهب الى اهل ليلى فعزاهم وعزوه . ويذكر راوى القصة ان رجلا هلاليا احب لقياه فخـــرج فى طلبه فى البرارى والقفار حتى لقيه ، فاخذ يتناشد معه الشـــعر حتى ظهرت ظبية فاذا بقيس يثب مسرعا فذهب وهو يقول له

(١) المسرحية ، ص ٩٩ .
(٢) قصة قيس بن الملوح ، ص ٦١ .

« ايها الرفيق والحبيب الصديق ما اراك بعد هذا اليوم تراني فقد كفاني ما دهاني » ، فرجع الهلالي الى اهل قيس يخبرهم بخبره ثم عاد في اليوم التالي يفتش عنه فلما لم يعثر له على اثر اخذ اهله وطلبوه في القفار حتى هبطوا الى واد كثير الاحجار واذا به معلق ميت بين حجرين . فغسلوه وكفنوه والى جانب ليلى دفنوه(١)، فلم تكن القصة الشعبية لتحرم قيسا من ان يساكن ليلى بعد موتها وتحقق لهما ما كان يمكن أن يتحقق في حياتهما وتلبي امنية من امانيه .

فياليتنا نحيا جميعا وان نمت
تجاور في الهلكى عظامي عظامها (٢)

واستخدم شوقي اعلان والد ليلى على قبرها واعترافه بخطأ ما صنع بليلى وبقيس وندمه على ذلك . ولقد اجمعت الروايات التي تحدثت عن قصة الحب عن هذا الندم وتذكر القصة الشعبية ان والد ليلى ضم قيسا الى صدره بعد وفاته وبكى عليه (٣) .

ويروي صاحب الاغاني ان والد ليلى عندما علم بوفاة قيس « كان اشد القوم جزعا وبكاء عليه وجعل يقول ما علمنا الامر يبلغ كل هذا ، ولكني كنت امرا عربيا اخاف من العار وقبح الاحدوثة ما يخافه مثلي فزوجتها وخرجت عن يدي . ولو علمت امره يجري على هذا

(١) المرجع نفسه . ص ٦٣ — ٦٤ .
(٢) المرجع نفسه . ص ١٣ . وقيس بن الملوح . الديوان . تحقيق عبد الستار فرج . القاهرة : دار مصر للطباعة ، (د.ت) ص ٢٤٩ .
(٣) قصة قيس بن الملوح . ص ٦٤ .

ما اخرجتهـــــا من يده ولا احتملت ما كان على فى ذلك (١) .

ترجم شوقى ذلك شـــعرا من قول والد ليلى على قبرها :

وليلى فتـــاة حرة بنت حـــرة
احبت فلاما سيدا وابن ســـيد
واعلم انى كنت حرب هواهمـــا
وكنت مع الواشى وعون المفند (٢)

كان لهذا الموقف تاثير كبير سواء فى رواية الاصبهانى او فى القصة الشعبية او عند شوقى . فقد ادى دورا فى تخفيف حدة التوتر فى المأســـاة ، اذ كان اعلانا لانتصار حب قيس بليلى فى النهاية .

اضاف شوقى هنا موقف غضب الناس من زوج ليلى ليدفع الجمهور الى التعاطف معه .

وبعد ان رحل الناس جميعا يدخل دائرة المسرح من جانب الطريق الآخر الفريض المغنى والشاعر ابن سعيد وامية وسعد وهم فى طريقهم الى مســاكن عامر لعزاء قيس وقد استخدم شوقى هنا الفريض بالذات لانه معروف بانه مهيج للبكاء وهو بذلك يهيىء الجو لانتظار وفاة قيس وبعد ان يخرجوا الى ناحية الحى يدخل من الجانب الآخر قيس وزياد فيعرف قيس بوفاة ليلى من بشر الذى قدم من ناحية القبر وتكون الفاجعة قد وصلت قمتها فلم يكن لحياته معنى بعد وفاتها فيدخل

(١) الاصبهانى ، المرجع السابق ، ص ٩٠ ، ٩١ .
(٢) المسرحية ، ص ١١٥ .

مرحلة الاحتضار فيسمع اسم ليلى تناديه وينتهي قيس وقد استخدم شوقى كلمة النهاية على لسانه ليخفف من حدة المأساة بمنح العاشقين خلودا ابديا .

نحن فى الدنيـــــا وان لم ترنا
لم تمت ليلى ولا المجنون مات (١)

وهكذا فان شوقى تابع المعروف عن قصة قيس هضمه واعاد بناءه في اطار محدد ولكن ذلك وحده لا يؤدى الى فهم هذا العمل المسرحي . فهناك جانب هام يساعد على تفسير النص وتفهم موقف النقـــــاد من المسرحية وهو الاسطورة التي بنى عليها شوقى مسرحيته .

– جـ –

وصف معظم النقاد موضـــــوع مجنون ليلى على انه اسطورة شعبية او ادبية . وهم فى ذلك قد استخدموا لفظ اسطورة بالمعنى الشائع للكلمة والذى يربطهـــــا بالاباطيل . اذ ان كلمة اسطورة لا دخل لها بالاباطيل وانما ترتبط بعقيدة كونية .

ولقد ربط شوقى احداث مسرحيته وشخصيته بقوة كونية ليفسر قصة هذا الحب واقام بنـاء المسرحية على هذه الرؤية ، فاضاف المنظر الخاص بعلاقة قيس بجنيه الاموى .

ومع ان هؤلاء النقاد وصفوا القصة بانها اســــطورة فانهم لم يتوقفوا عند هذا المنظر الذى تشابكت حوله

(١) المصدر نفسه ، ص ١٣٤ .

الاحداث . وعدوه خللا فى المسرحية باستثناء شوقى ضيف الذى تقبله فى اطار المسرحية على انه ساهم فى اتساع العنصر الفكاهى (١) فيها .

ويرى غنيمى هلال ان « رباط منظر الجن بالمسرحية رباط واه » (٢) ويشاركه مندور فى ذلك بأن مشاهد الجن لا علاقة لها بعناصر الدراما (٣) بينما يعيب محمود حامد شوكت على « هذا الفصل ظهور الشياطين قبل ظهور قيس . والشياطين شخصيات مسرحية رديئة اذا ظهرت بشكل قاطع فهى لا ترى فى الحياة وربما امكن تعليل وجودها بعد ظهور قيس على انها اوهام عقله السقيم (٤) ويقترح اختصار دورها على الشر الذى يدفع قيسا الى اغراء ليلى ويوحى له بهجرها فيكون ذلك تمهيدا طريفا لحوادث المنظر الثانى » (٥) .

***

والحقيقة انه اذا اغفلنا هذا المنظر باحداثه فان مضمون المسرحية يتغير عما اراده شوقى تغيرا تاما .

اراد شوقى ان يرد هذا الحب الخالد والاحداث المأساوية فيه الى قوة كونية تدعم هذا الحب وتوجهه . وكل ما يحدث فى هذه العواطف المتأججة له مثيره الخارجى الذى لا يتوقف عن اشعال هذه العواطف وخلق الوسائل من صد وحرمان لتظل نيران هذا الحب حية لا تخمد .

---

(١) ضيف ، شوقى ، المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .
(٢) هلال ، غنيمى ، المرجع السابق ، ص ٦٧ .
(٣) مندور ، محمد ، المرجع السابق ، ص ٥١ ، ٥٢ .
(٤) شوكت ، محمود حامد ، المرجع السابق ، ص ٨٠ .
(٥) المرجع نفسه .

يتبدى المنظر الخاص بقرية الجن ولقاء قيس بجنيه على انه ليس الا المثل وان جنيه الاموى هو المثول فهما شيء واحد عند رؤية البشر لقيس او رؤية الجن للاموى . تداخلا كل فى عالمه يمثل واقعا خاصا به ومماثلا لواقع الآخر .

فالاموى هنا يصبح (ا) المؤثر فى عملية الخلق الشعرى وعملية التحريك العاطفى بينما قيس يتحول الى (ب) وسيط فى عملية الخلق وعملية الاستقبال لهذا التوهج العاطفى ، ويأخذ الحب والشعر (جـ) شكل الاستجابة المتولدة عن المثير .

(ا) الاموى . (ب) قيس . (جـ) الحب والشعر .

سجل الجنى هذا فى حديثه لقيس .

هكذا شاء كل شاعر قوم عبقرى اللسان تحن لسانه (١) .

وتظهر هذه الرؤية حين يدخل قيس قرية الجن ويهتم الاموى بامره ويتساءل الجن لماذا يهتم بامره يقرر الاموى لاصحابه : الم تعلموا ان لى صاحبا من الانس احكم فى شعره (٢) ويبرز من حديث احدهما له أن الاموى يوحى لقيس بما يقول ولا يتوقف الامر عند هذا الحد بل أن الاموى نفسه يظهر حارسا لحب قيس لليلى فهو المغذى لهذا الحب والحارس له يكفل ليلى لقيس ويصرفها من هوى غيره ويسهر على طهر العاشقين ولا يغمض عينيه عن الحفاظ على هذا الحب حتى انه ليصرف ليلى عن زوجها لتبقى عذراء لم يمسسها بشر .

---

(١) المسرحية ، ص ٩٢ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٨١ .

ولم تكن هذه كلمة عابرة وانما هى الاساس الذى اقام عليه بناءه لصورة هذا الحب فليلى تموت عذراء لم ينل منها زوجها وطرا . وهذا يتكشف بعد لقاء قيس بجنيه فكان ذلك ممهدا للتعرف على امر ليلى بعد ذلك وحين تتغنى ليلى بعذريتها « انا عذرية الهـــوى احمـــل العبء » (١) ترى انه لم تعذب عذراء بالحب قبلها ولن تعذب بعدها .

تذكر « عفراء : هى عذراء آ ربى اشهد .

ليلى : اجل عذراء حتى يضمنى ركن لحدى (٢) .

لم يكن هذا الموقف جديدا على مشـــاهد او قارىء المسرحية . وقيمتـــه انه يؤكـــد دور الجنى فى هـــذه العلاقة .

حدد الجنى عاصف علاقة قيس بالجن فهو صاحب حنجرة لا يملكها بمفرده فهى منقسمة بين الانس والجن لهم فيها وتر كما ان للانس فيها وترا .

حنجرة لنـــــــــا وتر
منهـــا وللانس وتـــر (٣)

والحدد وتر الانس فيها بترداد قيس لما يلقى عليه ، فدور الانس هنا لا يعدو نقل الصوت .

وحين اعترض الجن على اهتمامهم بانسى كان الرد من بعضهم ان قيسا لا يعد من البشر فهو منهم وان كان ظهوره فى بنى عامر فهو يقيم بين البشر المثل بينما الجن

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١١٠ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المرجع نفسه ، ص ٨٢ .

هو المثول . ويبرز ذلك حين يتعجب قيس من الاموى فيراه صورة مطابقة له فيسأل هل هما قيس واحد أم قيسان وايهما يا ترى الشاعر .

ويحى اقيس واحـــــد
ام نحن قيسان هنـــا
واينــا الشــاعر هنا
الاموى ام انـــا (١)

غير ان قيسا لم يشك فى الصورة التى يراها على انها من عمل الوهم .

وهذه المسوخ حولى جنـة
ام عمل الوهم وتهويل الكرى (٢)

ومع تطور الموقف بينه وبين الاموى يستمر فى شكه فى ان ما يحدث به ليس الا من عبث السحر أو أن جنونه يخيل له هذه الرؤى .

ام الـــذى بى وبـــه
من عبث الســـحر بنا
ام انا مجنــون على حب ليلى قد جنى

وتطور الاحداث بعد ذلك يؤكد ان شوقى لم يكن يقدم صورة لتجسيم اوهام قيس وانما اراد ان يجعلها حقيقة واقعة ، فحين يروى الاموى شعرا لم يدعه قيس لاحد يتهمه بسرقة اشعاره ويرفض ان يكون شعره شعر جنى فيتحداه الاموى ان يقول شعرا . يحاول قيس الا انه يعجز وتخرج كلماته نثرا ، فقد احس وكانما وضع على

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٦١ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٨٦ .

لسانه حجر فينتهى الى الاعتراف بدور هذا الجنى وانه ليس اكثر من وسيط فى عملية الخلق .

الاموى : كيف ترى لسانك

قيس : الآن عليه حجر .

انت على مشـــــاعرى
وشـــعرى المســيطر
ان غبت غاب خاطـــــرى
وان حضرت يحضر (١)

ولا ينتهى الموقف عند هذا الحد بل تظهر علاقة قيس بجنيه الاموى عند قبر ليلى اذ يناديه فيسأل قيس عمن ينادى فيذكر له الجنى صراحة دوره فى حبه ليلى ، فلم يكن دوره يتحدد بالحفاظ على طهارة قيس وليلى وانمـا تعداه ليكون الدافع لهذا الحب والموحى لقيس بحبها .

الاموى : قيس .

قيس : من الهاتف من نادى الشريد المطرح (٢)

الاموى : انا الذى اوحى اليك حب ليلى واقترح .

يأخذ قيس بعد ذلك فى توجيه الاتهام له بما يحدد دور الجنى فى مأساته ، فلقد كان قرين سوء وكان شر ناصح له فلولاه ما باح بحبها ولا خدش عرضها بحديثه عن هذا الحب فى شعره .

لم يكن رباط شوقى لحب قيس فى المسرحية بقوة كونية من اختراعه وانما اســـتمده من بعض روايات

---

(١) المصدر نفسه . ص ٩٥ .
(٢) المصدر نفسه . ص ١٢٧ .

الاغاني . واهم هذه الروايات التى تربطه بالكون تروى انه لما قال :

خليلى لا والله لا املك الـــــــذى
قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيرى وابتــــــلانى بحبها
فهـــــــلا بشىء غير ليلى ابتلانيــا

رؤى أن هذا اعتراض واضح على قدره وقد قيل انه برص (١) . والحديث عن قيس لا يذكر برصة الا فى هذه الرواية . وقد قيل ان العقـــاب كان سلب عقله (٢) . ورواية اخرى تفصل فى هذا العقاب تذكر انه « نودى فى الليل : انت المتسخط لقضـــــاء الله والمعترض فى احكامه ! واختلس عقله فتوحش منـــذ تلك الليلة وذهب مع الوحش على وجهه » (٣) . وقـــد قيل ايضا ان سبب جنونه دعوة دعاها فى الكعبة حين تعلق بأستارها » وقال : اللهم زدنى لليلى حبا وبها كلفا فهام حينئذ واختلط فلم يضبط » (٤) .

تمهد هذه الروايات للجو الكونى الذى غلف قصـــة الحب غير ان ما الهم شوقى بوضع الفصــــــل الخاص بالجنى فى المسرحية وربطه بحياة قيس وفنه رواية تتحدث عن مشاركة قوى كونية له فى حبها فقد اخبر عنه « ان سبب توحشه انه كان يوما بقربه جالسا وحده اذ ناداه مناد من الجبل :

---

(١) الاصبهانى ، المرجع السابق ، ص ٥٤ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٦ ، ٥٤ .
(٣) المرجع نفسه ، ص ٦٨ .
(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٢ .

كلانا يا أخي بحب ليـــــلى
بفى وفيــك من ليلى التراب
لقد خيلت فـــؤادك ثم ثنت
بقلبى فهو مهموم مصـــــاب
شركتك فى هوى من ليس تبدى
لنا الايام منه ســوى اجتناب

قال : فتنفس الصعداء وغشى عليه . وكان هذا سبب توحشه » (١) .

وصاحب هذا الصوت لا يرتبط بقوى الملائكة وانما بقوى لها رغبات أنسانية وما يشترك مع الانسان فى هذه الرغبات من قوى ما وراء الطبيعـــــة هم الجن ، فصاحب هذا الصوت جنى ، وهذا تفسير مقبول أتاح لشوقى الحرية فى أن يجعل الاموى شـــــخصية من شـــــخصيات المسرحية ويبنى عقدتها على موقفه من هذه العلاقة . ووسع شوقى دور هذا الجنى فلم يجعله الدافع الموجه للحب فقط وانما أضاف اليه دورا كبيرا فى شعر قيس .

اخذ ذلك شوقى من المرويات الـكثيرة عن اعتقـــاد العرب القدماء بدور الجن فى عملية الخلق الشعرى فهم الدافع للخلق والشـــــاعر هو الوسيط والشعر هـــو الاستجابة . هذا الاطار العام لمفهوم الشعر وعلاقة الجن به مذكور فى كثير من كتب الادب العربى .

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٦٥ ــ ٦٦ .

ولعل اهم القصص التى كان لهما تاثير مباشر على شوقى هى قصة لقاء الاعشى بصاحبه مسحل السكران . التقى الاعشى بصاحبه فى طريق مقفر وتحادث الجنى معه واسمعه من شعره ثم عرفه بنفسه وبعد ذلك هداه الى الطريق (١) .

وهذا ما حدث لقيس حين التقى بصاحبه الاموى فى طريق مقفر واسمعه من شعره واصابته الدهشة ثم عرفه بنفسه ودله على الطريق .

والفرق بين مسحل والاموى ان مسحل لا يقوم الا بدور مانح الشعر بينما تعدى دور الاموى هذا ليكون مانح الحب .

وشوقى فى ذلك مدعم بتراث من العقائد الشعبية التى ربطت الحب بالجن برباط وثيق . فما زال اهل الريف يلجاون الى الرقى والتعاويذ لكسب الحب او بث الكره .

وعلى هذا فشوقى لم يكن مستمدا شخصية الجنى من تراث اجنبى وانما من تراثه العربى القديم والشعبى الحديث .

---

(١) ابوالفرج الاصبهانى ، على بن الحسين - كتاب الاغانى - القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر - نسخة مصورة عن دار الكتب ، سنة ١٩٦٣ ، جـ ٩ ، ص ١٥٦ .

ووضع شوقي شخصية الجنى على المسرح متفق مع طبيعة المسرح التى تعتمد على الايهام الى حد كبير فان بعض نظريات المسرح لا تجعل من المحاكاة بالضرورة محاكاة للواقع . وقد تقبل المسرح فى جميع عصوره دورا لشخصيات من وراء الطبيعة . استخدمها المسرح اليونانى كما استخدمها المسرح الرومانسى . ولعل اهم استخدام لها كان فى مسرحيتين مشهورتين من المسرحيات العالمية هما مسرحية فاوست لمارلو (١) والاخرى لجوته (٢) . وكان شكسبير اكثر تخففا منهما فى تقديمه للشبح فى هاملت والساحرات ودورهن فى مسرحية ماكبث .

وشوقى لم يقدم شخصية الجنى لوجودها فى المسرح العالمى وانما لان المسرح المصرى تقبل وجود شخصيات كونية تظهر على خشبة المسرح ولم يكن الجمهور يرى فى ذلك غضاضة اذ ان هذا ليس غريبا على الحكايات والسير الشعبية التى تاثر بها المسرح المصرى تاثرا كبيرا .

وقراءة المسرحية توضح ان بناء احداثها قام اساسا على دور الجن وعلاقته بقيس . فقد الهم قيسا الشعر واوحى له بحب ليلى واقترح عليه ان يشبب بها وان

(١) مارلو . كريستوفر : ماساة الدكتور فاوستوس . ترجمة نظمى خليل . القاهرة . المؤسسة المصرية للتاليف . (د.ت) .

(٢) جوتيه . فاوست . ترجمة محمد عوض محمد . القاهرة : الاعتماد . سنة ١٩٢٩ .

لا ينظر الى التقاليد التى تحـــــرم العـاشق أن يبوح بحبه .

فلا خير فى الحب حتى يذيع
ولا خير فى الزهر حتى يشم (١)

وهذا يجعلنا ننظر الى المسرحية فى اطار الشـــاعر الخلاق المرتبط بقوة كونية تدير الاحداث .

ولكى تحدث المأساة فانها تنطلق من البغض لهـــذا الشاعر والوجه المقابل له الحب لهذا الشاعر . وكلا الاحساسين مرتبط بالاعجاب بالشاعر .

***

كان قيس شاعرا ولكى يكون شاعرا فلابد أن يتفرد بالالم العظيم والالم العظيم قد يكون سبيله حبا عظيما . والاموى يعرف ذلك .

تفـردت بالالم العبقـــرى
وانبغ ما فى الحياة الالم (٢)

فكان ان انطلق قيس يشبب بليلى ويعلن حبه لها .. ادى هذا التشبيب علاقة قيس بليلى للدخول فى طريق مسدود ، فقد تغنى بها فى شعره مضطرا وذلك لينفث كربته .

يقولون بهــــا غنى
لقـــد غنيت من كربى (٣)

---

(١) شوقى ، احمد ، المسرحية ، ص ١٢٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٨
(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

ام يلم قيس احدا على هذا الا حين تبين دور جنيه في لعبة الحب والشعر . منحه الاموى الشعر وخلق له الدافع لقــوله فكان بالنسبة لقيس قرين سوء وشر ناصح .

كنت قــرين الســوء لى وكنت شر من نصح (١)

وقد عدته ليلى مسئولا عن عدم تحقيقهما لهذا الحب وتذكر ذلك في آخر لقاء تم بينهما .

قيس ... فيمن الفكر .

ليلى : فى الذى تجنى (٢) .

كانت ليلى تشير الى شــعره الذى تحدث فيه عن لقائه بها فيما أسماه ليلة الفيل . وادى الى اثارة قبيلتها عليه بينما لم يكن بينهما ليلة الفيل اكثر من السلام بين سمع وبصر الرفقاء .

صنت منذ الحداثة الحب جهــدى
وهو مستهتر الهــوى لم يصنى
قد تغنى بليلة الفيـــــل ، ماذا
كان بالفيـــل بين قيس وبينى ؟
كل ما بيننــــا ســـــلام ورد
بين عين من الرفـــاق واذن (٣)

فالشعر قد جنى على الشاعر جناية كبرى فحــرمه حبيبته وادرك قيس جناية هذا الشعر عليه . وهو يلوم فى النهاية جنيه على دفعه الى البوح بهذا الحب :

لولاك ما بحت بمـــــا
خدش ليلى وجـــــــرح

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٢٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨ .

كأنه في عرضها
زيت على الثوب سرج (١)

اظهر شوقي موقف الجنى واضحا في دفعه لقيس للحديث عن حبه .

ثم اهتف بليلى وشبب بها
وخل التقاليد وانس الحرم

ترتب على هذا تكون مأساة مجنون ليلى .

غضب المهدي والد ليلى حين سمع شعر قيس يتحدث عن ابنته فيما اسماه ليلة الغيل وعد حديثه هذا اهانة لشرف قبيلته وشرفه وشرف ابنته ، فهو يرى أن قبيلة عامر ذلت بما قال قيس واصبح كل فتى منها محنى جبينه ذلا حين يلقى الناس .

وغدا كل فتى من عامر
حين يلقى الناس محنى الجبين

اصر والد ليلى الا يزوجها لقيس وحين يسأله عما جناه ليحرمه ليلى لا يذكر له سوى ما تذيعه الرواة من اخبار واشعار عنه ولا سيما حديثه عن ليلى ليلة الغيل .

قيس : عم ماذا جنيت .
ليلى : ماذا جنى قيس .
المهدى : نسيت الرواة والاخبارا .
قيس : انهم يافكون يا عم .
المهدى : والغيل اليلا غشيته أم نهارا .

ما الذي كان ليلة الغيل حتى
قلت فيها النسيب والاشعارا (٣)

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٢٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

شخصية الاب تعيش ازمة تتصاعد في داخله فهو يقف ضد قيس ويكره ما صنع به وبليلى ويقاسي من شعره ومع هذا فهو يحب هذا الشعر ويعجب به ويرويه ويصور نفسه في ذلك بالمشرك الذي يعجب بالقرآن الكريم ويرويه بالرغم منه .

اراني شـــــعرك الويل
وما اروى ســـــوى شــعرك
كمـــــا لذ على الــــكره
كـــــلام الله للمشرك (١)

يحب المهدي شعر قيس ويحب ابنته ولكن هذا الحب لم يكن ليمنحه الشجاعة ليقف امام التقاليد ويخشى اشد الخشية ان تذيع زيارة قيس لخبائه حين خر صريع النار .

فكأني بقصة النـــــار تروى
وكأني بذلك الشعر ســـــارا
وكأني ارتديت في الحي ذلا
وتجللت في القبائل عارا (٢)

وينتهي به الامر الى ان يطرد قيسا ويقتل اى امل في ان يلتقي الحبيبان .

***

واذا كان الشعر قد جنى على قيس فمنعه من الحصول على ليلى فان هذا الشعر قد خلق له حسادا كان اظهرهم منازل حسده لقدرته الشعرية فانطوى حقـدا عليـه

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣١
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

وحاول ان ينافسه فى حب ليلى . ولقد اشقاه حسده لقيس اضعاف ما اشقاه حبه ليلى .

واحسده حسدا ما علمت
اقيس الشقى به ام انا (١)

فان حب قيس ليلى يفوق حبه لها كما ان شعر قيس رواه البدو والحضر بينما لم يرو شعره أحد .

روى شعره البدو والحاضرون
وشعرى ليس له من روى (٢)

كانت شخصية منازل هى شخصية الشرير التى اراد بها شوقى ان يقيم تضادا بين الشخصيتين ليكشف عن جوانب الخير فى قيس ويدفع الى التعاطف معه .

كان منازل خبيثا حين سأله قيس عندما التقى به اين كان ؟ اجابه ليطعن قلبه بانه قادم من عند ليلى ولم يكن منازل كاذبا ولكن طريقته توهم بانه كان مختصا بحديثها .

« قيس : منازل ، من اين ؟

منازل : من عندها من السمر الممتع المشتهى (٣) .

وحين يذهب قيس خاطبا ليلى مع ابن عوف يقوم منازل بتحريك جموع بنى عامر ضده بأسلوب استخدم فيه التضاد ليستفزهم ضد قيس ويستحثهم فى النهاية على النيل منه .

بدا حديثه عن جوانب قوة قيس ثم اخذ يتسلل منها ليذكر ما سببه قيس لقومه من عار حين تحدث عن

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

ليلى ولقد نجح فى تحريكهم فاخذ بعضهم ينادى بتاديبه فكان كما وصف أحدهم فعله بفعل جزار اليهود بالبقر يبراها من العيوب ثم يقوم بذبحها .

كفعل جزار اليهـــود بالبقر
براها من العيــوب وعقر (١)

كشفت كراهية منازل لقيس الموقف الاجتماعى الذى حدد سلوك الفرد فى علاقته بالفتاة التى يريد الزواج بها واستغل ذلك منازل ليبعد قيسا عن ليلى . غير انه لم يفز بها .

ولقد لعب منازل فى المسرحية دور البطــل الخصم واصابته المأساة التى اصابت قيس فما كانت ليلى لتتزوج من عدو قيس .

***

اما من ناحية الاعجاب بشعر قيس اعجابا مرتبطـــا بالحب فقد نال قيس اعجاب الكثيرين وحبهم . وتتحرك المسرحية حول هذا الاعجاب بشعر قيس اعجابا وصل الى قمته بحب ليلى التى بادلته اياه . لقد رفع قيس ذكرها بشعره حتى أن رفيقاتها كن يرينها تزهو وتتعالى عليهم بما خلعه عليها من شعره كانها ابنة النعمـــان او ابنة كسرى .

كان هذا الاعجاب مكونا لمأساة حبها .

سلمى : سلمى انظرى هند ترى ليلى اكتست زهوا وكبرا وتعالت كابنة النعمان او كابنة كسرى (٢) .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٦٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٣ .

هند : لم لا سلمى ، الم يرفع لها المجنون ذكرا !

وليلى : تدرك بوضوح أن قيسا بنى لها مجـدا فحين يفنى اهل نجد تبقى قصائده فيها حية خالدة فلولا هذه القصائد التى نوهت بها ما علم احد مكانها .

والنفس تعلم ان قيســـا قد بنى
مجدى وقيس المـــــكارم بانى
لولا قصـــــائده التى نوهن بى
فى البيـــــد ما علم الزمان مكانى
نجد غدا يطـــــوى ويفنى اهله
وقصيد قيس فى ليس بفانى (١)

ولقد وصل الامر بليلى ان كانت تغار من الظباء التى يصفها قيس فى شعره ، وكانت تسائله ان كان قد نسيها وحول عشقه عنها .

نبنى قيس ما الــذى
لك فى البيد من وطـــر
لك فيهـــا قصـــائد
جاوزتهـــــا الى الحضر
اترى قـــد ســـاوتنا
وعشقت المهـــا الاخر (٢)

تحول شعر قيس الى رقية لليلى تزيد اشتعال الحب فى قلبها وتمنعها ان تحب شخصا آخر وفى الوقت نفسه تمنعها من الزواج به .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٧٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٠ .

وحين تظهر ليلى فى الفصل الاول مع فتيات الحى وفتيانه تحاول أن تمد رجلها فلا تستطيع اذ اصابهـا الخدر فتتألم وتستغيث . وعلى عادة العرب الشـعبية حين تخدر قدم الفرد فان هناك تعويذة تقال وما زال أهل صعيد مصر يرددون عن الخدر « موسى قتل فرعون » ولكن ليلى لا تحضرها العبارة أو التعويذة . فتذكر اسم قيس وحين تتضاحك الفتيات من هذا السلوك تبرر ذلك بانها لا تعنى شيئا . ان هو الا اسم حضر على لسانها غير انها تعود لنفسها فتعترف .

يا قيس ناجى باسمك القلب اللسـان فعثر (١)

كان الموقف يمثل ليلى طوال المسرحية الفتاة المحبة ولكنها مع كل هذا الحب لم تتخذ قرارا فى صالحها وصالح قيس حين خيرها والدها ان تختار بين قيس وورد . بدت متمسكة بالتقاليد فرفضت قيسا . ولقـد حير موقفها هذا النقاد اذ رأوه قلقا متناقضا مع الحب. ولا شك أن ليلى كانت تعيش صراعا فى المسرحية بين حبها لقيس وبين تمسكها بالتقاليد ولكن ليلى حين اتخذت قرارها كانت مدفوعة بقوة كونية تحرك لسانها فقد كانت تهذى وكأنها مأمورة يحركها شيطان .

وليلى تدرك تماما أن القوى الاجتماعية تقف ضدها وتتبين ذلك بوضوح غير أن موقف القوى الكونية التى تحول دون زواجها تبدو غير متبينة لها بوضـوح فهى لا تدرى ان كانت تهذى او انها مأمورة باتخاذ قرار ضد علاقتها بقيس وان الذى يأمرها ويقـود لسانها هـو

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٢ .

الشيطان . ولما لم يكن ذلك واضحا في ذهنها فقد ردته الى الحظ .

ما زلت اهذى بالوساوس ساعة
حتى قتلت اثنين بالهذيان (١)
وكانني مامورة وكانما
قد كان شيطان يقود لساني
قدرت اشياء وقدر غيرها
حظ يخط مصاير الانسان

وقد وضحت المسرحية في لقاء قيس بالجني دوره في اتخاذ ليلى هذا القرار . لقد كان الشيطان يريد لقيس ان يحترق بالالم حتى يكون ذا دافعا للابداع ولان ينقل عنه اجمل اشعار الحب . وحين تزوجت ليلى من ورد دخل المسرحية طرف آخر في الصراع . ودخوله طرفا في الصراع جعل الاعجاب بشعر قيس يبلغ المأساة ذروتها .

***

ولقد اتخذت صورة الاعجاب بشعر قيس في المسرحية حدة درامية ساهمت في صنع ذروة مأساة قيس حين تقدم ورد من ابناء ثقيف طالبا الزواج من ليلى . وكان من الممكن ان يكون خصما لقيس يتقزز منه المتفرج او القارىء الا انه نال التعاطف بالصورة التي ظهر بها في المسرحية فاصبح جزءا من مأساة الحب انعكست عليه آلام قيس وليلى .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٧٨ .

فشعر قيس الذى كان بلاء عليه وعلى ليلى كان بلاء على ورد ايضا .

فشعرك يا قيس اصل البـــــلاء
لقيت به وبليلى الضـــــلال

فقد عشق ورد شعر قيس منذ شبابه يتغنى به ويرويه. جسد له هذا الشعر صورة ليلى فكان يتمثل بين الفاظه ظلها ويلمح خيالها بين قوافيه :

ذهبت بشـــعرك منـــذ الشباب
اغنى القصار واردى الطـــوالا
ارى بين الفـــاظه ظل ليلى
والمح بين القـــوافى الخيـــالا

وتدافع المسرحية عن ورد فهو لم يذهب لخطبتها الا بعد ان تأكد ان قيسا قد رد عن ليلى وان اعلان حبها فى شعره يقف حائلا دون ذلك .

فلما رددت وقيل القصائد والعشق بين المحبين حالا
خرجت الى حبهـــا خاطبا
ولم ادخر دون مســـعاى مالا (١)

كان ورد كمن يريد ان يقتنى اثرا لفنان يعشق فنه فكانت ليلى التى احاطها بالتقـــديس والرعاية احاطة الوثنى بصنمه .

كانت اطافتى بهـــا كالوثنى بالصنم (٢)

حفظ شعر قيس ليلى طاهرة نقية فقد كساها جمالا

(١) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .

وجلالا فكان كلما يقترب منها تنهاه هذه القداسة عن ان يمسها .

كساها جمالا فعلقتها
فلما التقينا كساها جلالا
اذا جئتها لانال الحقوق
نهتني قداستها ان انالا (١)

ولكن هل تم ذلك بارادة ورد ؟ . لقد كانت هناك قوة كونية تحيط بليلى وهذا ما ادى بالاموى جنى قيس الى القول :

سهرت على طهر ليلى الزمان
ولم اغمض العين عن طهره (٢)

قد يكون ذلك بتاثير مباشر أو غير مباشر من الاموى اذ تحول شعر قيس الى تميمة تحفظ ليلى وتحميها .
ولم يكن الامر كله بيد ورد فقد هيبها هذا الشعر فامتنعت كانها صيد الحرم .

هيبها فامتنعت كانها صيد الحرم (٣)

ويقف ورد في هذا المنظر بصورة المعطاء الرحيم الذى يترك زوجته وقد وهبها لما عاشت له للحب والالم والشعر .

وهبتها للحب والشعر وقيس والالم (٤)

برز الرجل بالصورة التي تحدث عنها فقد اخذ قيس الى ليلى .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٠١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٨١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص

لقد كانت ليلى الزوجة والحبيبة
وكان ورد الزوج
وكان قيس الحبيب

ولم يكن هناك صراع يتحدد فيه صاحب الموقف فقد تركه ورد ليلتقي بليلى وحيدا فالمكان هو مكان الحبيب اما الزوج فلا مكان له في هذه اللحظة .

قيس أرى الموقف لا يجمعنـــــــــا
أنت حبيب القـــلب والزوج انا (١)

نال ورد التعاطف لا من الجمهور فقط بل من ليلى حفظت احترامه في غيبته فهي كما حفظت حب قيس مع زوجها حفظت احترام الزوج ورد مع حبيبها وعرفت له قيمته كرجل ذي مروءة .

فورد يا عفر لاكفــــــــاء له
مروءة في الرجال او ورعا (٢)

ولم يكن ورد الزوج وهو يترك ليلى لقيس يشعر بانه يعطى ما يملك لقيس فهو لم يملك ليلى ويعلم انها ليست له وكان مقتنعا بصدق موقفه فلقد عبر عنه بندمه على زواجها منذ حوتها داره .

منذ حوت داري ليلى ما خلوت من ندم (٣)

وحين تموت ليلى يشارك ورد في احساسه بالمأساة فيبكيها وهو لا يبكي ليلى الزوجة وانما يبكي العـــاشقة

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٠٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .

التي حرمت من حبيبها فيودعها على قبرها بدعوة يتمنى لها السلام في ثرى نجد ، في ظل الله وفي خلده .

بظل الله يا ليلى
وفي بحبوبة الخلد
وهذى نجد يا ليلى
فنامي في ثرى نجد (١)

واجه ورد موقفا قاسيا لحظة دفن ليلى فان احدا لم يعزه في وفاتها ، فالناس كانوا ينظرون اليه شزرا ووجوههم مملوءة بالبغضاء متصورين أنه سبب هذه المأساة وانه اخذ ليلى من قيس وزاد شقاءهما . وحين يحدثه احد اصدقائه عما يشعر به مما يرى على وجوه الناس . يكون ورد اكثر يقينا من انه لم يكن الا محسنا للعاشقين وليس في يده شهادة الا قبر ليلى فان في قبرها الجوابا .

يرون اني عدو قيس
اخذت ليلى منه اغتصابها
وزدت نفسيهما شقاء
وزدت قلبيهما عذابا
ليسأل الناس قبر ليلى
فان في قبرها الجوابا (٢)

***

وهناك شخصية عاشت احداث المسرحية معيشة كاملة . عاشتها بجانب شخصية قيس وهي شخصية زياد .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١١٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٤ .

وشخصية زياد في المسرحية من شخصيات الادب الشعبى فهى شخصية مساعدة تقف بجوار البطل باخلاص وحب ولا تتخلى عنه ابدا فهى شخصية انعكاسية تنعكس عليها تصرفات البطل . تماثل شخصية أبي القمصان فى حياة ابي زيد الهلالي ، وشخصية شيبوب في حياة عنترة . عواطف هذه الشخصية مرتبطة بعواطف البطل .

ظهر زياد فى المسرحية فى معظم المواقف التى ظهر فيها قيس . ولم يختف الا حين يلتقى قيس بجنيه اخذ زياد فى المسرحية دور راوية قيس والمدافع عنه .

وكان معه فى اللحظات الاخيرة من حياته . فهو شاهد المأساة . ولم تكن شخصية زياد شخصية تعبر عن موقف نفسى داخلى بقدر ما كانت شخصية مساعدة يحتاجها قيس ، الذى فقد عقله ليكون بجواره ؛ فهو المعبر عن الاعجاب الشديد بشعر قيس والحب له مما جعله يكرس حياته من اجله . ويكون مع قيس بن ذريح الوحيدين اللذين شاهدا نهاية المأساة بوفاة قيس .

***

وهناك شخصيتان اتصلتا بليلى ممن اعجبوا بقيس واحبوه احدهما قيس بن ذريح والآخر عبد الرحمن بن عوف .

وقيس بن ذريح سمي قيس الذى اشتهر بحب لبنى وكان احسن حالا من صاحبه اذ انتهت قصة حبه بزواجه من حبيبته .

ظهر فى المسرحية رسولا لقيس وكان اعجابه به

واضحا من حديثه عنه فهو يراه زين الشباب وابن سيد الحمى .

وقيس يا ليلى وان لم تجهـــــلى
زين الشباب وابن سيد الحمى (١)

يظهر قيس بعد ذلك آخر المسرحية على قبر ليلى ليكون مع قيس في لحظة احتضاره . ودوره في النهاية مماثل لدوره في البداية ؛ فقد كان المعبر عن جلال قيس وجلال الحب . اراد شوقي ان يربط بينهما بهذا الرباط الوثيق فلا يترك قصة المجنون تمر دون ان يكون ابن ذريح احد شخصياتها والواقف على قبره ليعلن وقوف القـــوى السماوية مع العاشقين بعد وفاتهما ليتحول هذا القبر الى مكان مقدس .

ابن ذريح :

يا ليلى قبرك ربوة الخـــلد
نفح النعيم بهـا ثرى نجـد

في كل ناحيـــــة ارى ملكا
يتنفسون تنفس الـورد (٢)

فهو يقف بمفرده على مقربة القبر خاشـــعا باكيا ثم يلتقى بقيس ليكون حاضرا مع زياد لحظـة وفاة قيس وربما اراد شوقي ان يجعل الحب يجامل الحب .

***

اما شخصية امير الصدقات ابن عوف فقد كان وجودها يخدم ايضا ابراز جانب التقـدير الذى لقيه قيس من

(١) المصدر نفسه ، ص ١٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣١ .

معاصريه ، فابن ذريح عاشق وابن عوف رجل دولة وكلاهما التقيا فى هذا التقدير فان الحب حرك رجل السياسة الذى يعرف عن نفسه القسوة فيرق قلبه ويلين لقيس .

يا ويح قلبي ما خلا من قسوة
ما باله رق لقيس ورثى (١)

حتى انه ليتطوع ليقوم بدور فى قصة الحب اذ يذهب الى اهل ليلى خاطبا اياها لقيس .

التقى ابن عوف ومعه كاتبه نصيب بقيس فى الطريق قرب ديار ليلى مستلقيا على الارض فى شبه اغماءة وقد ضايقه الصغار بمداعبتهم وزياد راويه يدفعهم بعيدا عنه . ادى ذلك المنظر الى ان يسائل كاتبه نصيبا جلية الخبر فيعترض نصيب طريق زياد ويسأله عن الفتى فيرد بانه قيس امام العاشقين .

ولما كان كثير من العشاق المعروفين بالحب يسمون قيسا فقد تساءل ابن عوف آى قيس هو ؟ فكان رد زياد انه ارفعهم ذكر واعلاهم مجدا . هنا تظهر علاقة ابن عوف بقيس محددة وهى انه معجب بشعره من قبل ان يراه وانه يروى هذا الشعر .

لعله قيس الذى نعرفه
لقد رويت شعره فيمن روى (٢)

وحين يفيق قيس يذكر له ابن عوف انه من رواته وانه لم يخل من الاشفاق عليه .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤١ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٠ .

بل من رواتك قيس من زمن مضى
لم اخل قيس عليك من اشفاق (١)

ويتعدى اعجابه بقيس الى اعجابه براويته فهو المهدى لكل قرية شعر قيس .

ويصف هذا الشعر بانه « مجاجة النحل ونفحة الربا » (٢) .

ويعبر ابن عوف عن هذا الاعجاب عمليا فيذهب الى والدها .

وحين ياخذه والد ليلى الى خبائه يخلع ابن عوف نعليه ويسير حافيا الى خيمته ليرى والدها اى درجة هو معنى بامر قيس ولقد خاب هذا اللقاء فلم يفلح ابن عوف فى مسعاه . ورأى بعينيه المأساة تصل الى ذروتها حين تقبل ليلى الزواج من ورد وحين تساله ان يكون حليفها فى هذا الامر كما كان حليف قيس يرفض ابن عوف فانها تساله المحال فهو لم يقدم لخطبتها لورد ثقيف وانما لقيس الذى اسماه ورد القوافى :

سالت محالا انما جئت خاطبا
لورد القوافى لا لورد ثقيف (٣)

ولم يدر ابن عوف بانه ما كان ليستطيع ان يحقق لهذا الحب اجتماعا فان قوة كونية تحول بين لقاء العاشقين ، فقد كان الاموى يقف على لسان ليلى يمنعها ان تجيب ابن عوف الى ما طلب .

---

(١) المرجع نفسه . ص ٤٧ .
(٢) المرجع نفسه . ص ٤٠ .
(٣) المرجع نفسه . ص ٧٧ .

ولم تكن ليلى متناقضة مع نفسها فى هذا ، فالقـوة الكونية تحرك احداث المسرحية وشـــخوصها لتجعل الواقع الاجتماعى يظهر وكأنه صانع للمأساة .

***

واذا كانت العوامل الثلاثة : التراث المسرحى المصرى والمصادر الادبية والشعبية والاسطورة قد شكلت العمل المسرحى فانه من الضرورى ان نقف عند القيمة الفنية لهذا العمل .

وعلينا ان نطرح تقاليد المسرح الغربى عند تحـديده هذه القيمة فشوقى قد شكل عمله من خـلال هـذه العوامل الثلاثة وأقام عملا قصصيا ممسرحا . كان دوره الاساسى فيه هو عملية الانتخاب واعادة صياغة القصة ليفسر الحب تفسيرا كونيا . وربط القصة بالاسطورة منحه الحرية فى اختيار المادة وطريقة تحريك الاحداث .

ركز شوقى على عناصر عدة فى رسم شخصياته فهى تمثل أطرا عامة للجمال الصافى النقى والعـــاطفة التى لا تأثير للزمن عليها اذ أنها دائما مشتعلة لا تعرف التوقف ومع هذا الاشـــتعال فهى لا تتنازل عن اخلاقياتها فى سبيل تحقيق اغراضها حتى انهـــا ليمكن ان توصف بالسلبية . وقد تبدت الشخصيتان الرئيسيتان منـــذ البداية بهذه الصورة لم يحدث فيها اى تغير . وتتخـذ ليلى قرارا ليست مستعدة لاتخاذه وتبعا لهذا فهمـــا يواجهان احداثا تؤثر فى مسيرتهما لتصنع المأســـاة الدامية فى قلبيهما . وحين تموت ليلى يحدث تغير فى جانب الشخصيات الثانوية فيتحول الكره للبطل الى

تعاطف وحب له كما حدث مع والد ليلى من تغير احساسه بقيس وكذلك جمهور القبيلة .

وهذا فى حد ذاته نجاح اذ استطاع ان يعكس مفهوم الشخصية الرئيسية النامية في المسرح الغربى ليحولها الى شخصية من شخصيات القصص الشعبى الثابتة فى مواقفهـــا الانفعالية ويجعل الشخصيات الثانوية تمثل انعكاسات التحول فى العالم المحيط بها .

ولم يتوقف شوقى عند الجمال فى رسم الشخصيات وانما قدم ايضا الجمال فى الحدث فأحداث القصة تتابع فى خط واحد حتى يجد العالم المحيط بقيس قصة حبه الخالدة ، فمنذ الفصل الاول ولقـــاء ليلى بابن ذريح لا يخرج الحدث عن قصة قيس وتبعـــا لذلك فقد كان السرد للأحداث مأونا لها ، ومضيفا الى القصة المسرحة حياة فما كان من عيب فى المسرح الغربى لا يعد عيبا فى القصة المسرحة . ظهر ذلك واضحا فى حديث زياد مع ابن عوف عن حب قيس لليلى . كما أن الجو السياسى الذى اضافه الشاعر من مرور موكب الحسين فى طريق قيس دون ان يحرك له ساكنا وضح تجسد هذا الحب فى قيس حتى لم يعد العالم يحرك له وجودا بعيدا عن ليلاه .

وحين قدم شوقى صورة وادى الجن نقل الصراع فى القصة الى العالم الغيبى فالعاشقان يواجهان قوة حددت لهما الطريق فلا لقاء . ولا اظن ان شوقى كان يسترشد فى هذا بالمسرح اليونانى فى صراع ابطاله ومواجهتهم له ولكنه بفطرة الفنان اتجه لهذا الصراع من خلال تراثه القصصى الشعبى فظهر ابداع شـوقى فى التقاط صورة

الجن وعلاقتها بالشعراء ليقدمها حية كمركز للصراع فى المسرحية . ويجعل الام شخوصه ومواقفه مقالى فيهـا تماما كما تظهر فى القصص الشعبى .

وتبعا لذلك فان شوقى اهتم بالجمال ايضا فى حواره فيظهر الجانب السردى والخطابى ولم يكن ذلك عيبا فى القصة المسرحة وانما ساهم فى تشكيل مسرحية مجنون ليلى كعمل قصصى شعرى ممسرح .

ولم يكن من المنتظر ان يخرج شوقى من اطار القصيدة العربية فى مسرحة لقصة بطلها شاعر يروى عنـه اعذب قصائد الحب . وشوقى يعارضه فى بعض القصـــــائد ويضمن بعض ابياته حوار المسرحية وفى ذهنه جمهور يعرف قيسا ويعرف شعره ، ومسرح له تقاليده الغنائية، فكان الاطار الشعرى الذى استخدمه شوقى ملائما للقصة المسرحة وملائما لعصره .

وانه من الخير ان يذكر هنا ان ما نسميه مسرح مصرى هو مسرحة قصصية ويجب النظر الى الاعمال المسرحية المصرية من هذه الزاوية سواء انالت اعجابنا ام لم تنله .

رقم الايداع بدار الكتب ٣٩٥٨ ـ ١٩٨٣
الترقيم الدولى : ٤ ـ ٠٤٤ ـ ١١٨ ـ ٩٩٧ ISBN